تفسير سورة الحج

وهى ثمانٍ وسبعون آية . اختلف أهل العلم : هل هى مكية أو مدنية ؟ فأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة الحجّ بالمدينة . وأخرج ابن مردويه عن عبدالله بن الزبير مثله . وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال : نزل بالمدينة من القرآن الحجّ غير أربع آيات مكيات : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى** ﴾ إلى : ﴿ **عذاب يوم عقيم** ﴾ . وحكى القرطبى عن ابن عباس أنها مكية سوى ثلاث آيات وقيل : أربع آيات إلى قوله : ﴿ **عذاب الحريق** ﴾ . وحكى عن النقاش أنه نزل بالمدينة منها عشر آيات . قال القرطبى وقال الجمهور : إن السورة مختلطة، منها مكى ، ومنها مدنى . قال : وهذا هو الصحيح . قال العزيزى : وهى من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارًا ، سفرًا وحضرًا ، مكيا ومدنيا ، سلميا وحربيا ، ناسخًا ومنسوخًا ، محكمًا ومتشابها .

وقد ورد فى فضلها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن عقبة بن عامر قال : قلت : يارسول الله ، أفضلت سورة الحجّ على سائر القرآن بسجدتين ؟ قال : « نعم ، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما»(١) . قال الترمذى : هذا حديث ليس إسناده بالقوى (٢). وأخرج أبو داود فى المراسيل ، والبيهقى عن خالد بن معدان ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين»(٣). وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة والإسماعيلى وابن مردويه والبيهقى عن عمر ؛ أنه كان يسجد سجدتين فى الحجّ وقال: إن هذه السورة فضلت على سائر القرآن بسجدتين. وقد روى عن كثير من الصحابة أن فيها سجدتين، وبه يقول ابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحاق. وقال بعضهم : إن فيها سجدة واحدة، وهو قول سفيان الثورى ، وأخرجه ابن أبى شيبة عن ابن عباس وإبراهيم النخعى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ**

---

(١) أحمد ٤/ ١٥١ ، ١٥٥ وأبو داود فى الصلاة (١٤٠٢) والترمذى فى الصلاة (٥٧٨) وصححه الحاكم ٢/ ٣٩٠ ووافقه الذهبى ، والبيهقى ٢/ ٣١٧ .

(٢) قال الحاكم : « هذا حديث لم يكتب مسندا إلا من هذا الوجه ، وعبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمى أحد الأئمة ، إنما نقم عليه اختلاطه فى آخر عمره وقد صحت الرواية فيه من قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى وأبى الدرداء وعمار رضى الله عنهم» قال الشيخ أحمد شاكر : « الحديث صحيح ، وابن لهيعة ومشرح بن هاعان ثقتان » .

(٣) أبو داود فى المراسيل (٧٨) والبيهقى ٢/ ٣١٧ .

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ .

لما انجرّ الكلام فى خاتمة السورة المتقدمة إلى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها ، بدأ سبحانه فى هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها ، حثًا على التقوى التى هى أنفع زاد فقال : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم** ﴾ أى احذروا عقابه بفعل ما أمركم به من الواجبات وترك ما نهاكم عنه من المحرمات، ولفظ الناس يشمل جميع المكلفين من الموجودين ومن سيوجد على ما تقرر فى موضعه ، وقد قدّمنا طرفًا من تحقيق ذلك فى سورة البقرة . وجملة : ﴿ **إن زلزلة الساعة شىء عظيم** ﴾ تعليل لما قبلها من الأمر بالتقوى ، والزلزلة : شدة الحركة ، وأصلها من زلّ عن الموضع ، أى زال عنه وتحرّك ، وزلزل الله قدمه ، أى حركها ، وتكرير الحرف يدلّ على تأكيد المعنى ، وهو من إضافة المصدر إلى فاعله ، وهى على هذا، الزلزلة التى هى أحد أشراط الساعة التى تكون فى الدنيا قبل يوم القيامة ، هذا قول الجمهور . وقيل : إنها تكون فى النصف من شهر رمضان ، ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها . وقيل: إن المصدر هنا مضاف إلى الظرف ، وهو الساعة ، إجراء له مجرى المفعول ، أو بتقدير « فى » كما فى قوله: ﴿ **بل مكر الليل والنهار** ﴾ [سبأ : ٣٣] . وهى المذكورة فى قوله : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ [الزلزلة: ١] . قيل : وفى التعبير عنها بالشىء إيذان بأن العقول قاصرة عن إدراك كنهها . ﴿ **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت** ﴾ انتصاب الظرف بما بعده ، والضمير يرجع إلى الزلزلة ، أى وقت رؤيتكم لها ، تذهل كل ذات رضاع عن رضيعها وتغفل عنه . قال قطرب : تذهل : تشتغل ، وأنشد قول الشاعر :

ضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وقيل : تنسى . وقيل : تلهو . وقيل : تسلو، وهذه معانيها متقاربة . قال المبرّد : إن «ما» فيما أرضعت بمعنى المصدر: أى تذهل عن الإرضاع ، قال : وهذا يدلّ على أن هذه الزلزلة فى

الدنيا، إذ ليس بعد القيامة حمل وإرضاع ، إلا أن يقال : من ماتت حاملا فتضع حملها للهول، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك ، ويقال هذا مثل، كما يقال : ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ [المزمل : ١٧]. وقيل : يكون مع النفخة الأولى ، قال : ويحتمل أن تكون الساعة عبارة عن أهوال يوم القيامة ، كما فى قوله : ﴿ مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ﴾ [البقرة : ٢١٤] ومعنى ﴿ **وتضع كل ذات حمل حملها** ﴾ : أنها تلقى جنينها لغير تمام من شدّة الهول ، كما أن المرضعة تترك ولدها بغير رضاع لذلك ﴿ **وترى الناس سكارى** ﴾ قرأ الجمهور بفتح التاء والراء خطاب لكل واحد ، أى يراهم الرائى كأنهم سكارى ﴿ **وماهم بسكارى** ﴾ حقيقة ، قرأ حمزة والكسائى : « سكرى » بغير ألف ، وقرأ الباقون بإثباتها وهما لغتان يجمع بهما سكران ، مثل كسلى وكسالى ، ولما نفى سبحانه عنهم السكر أوضح السبب الذى لأجله شابهوا السكارى فقال : ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ فبسبب هذه الشدّة والهول العظيم طاشت عقولهم ، واضطربت أفهامهم فصاروا كالسكارى ، بجامع سلب كمال التمييز وصحة الإدراك . وقرئ : «وترى » بضم التاء وفتح الراء مسندًا إلى المخاطب من أرأيتك ، أى تظنهم سكارى . قال الفراء: ولهذه القراءة وجه جيد فى العربية .

ثم لما أراد سبحانه أن يحتجّ على منكرى البعث قدّم قبل ذلك مقدّمة تشمل أهل الجدال كلهم فقال : ﴿ **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم** ﴾ وقد تقدّم إعراب مثل هذا التركيب فى قوله: ﴿ ومن الناس من يقول ﴾ [البقرة: ٨] ومعنى ﴿ **فى الله** ﴾: فى شأن الله وقدرته ، ومحل ﴿ **بغير علم** ﴾ النصب على الحال . والمعنى : أنه يخاصم فى قدرة الله ، فيزعم أنه غير قادر على البعث بغير علم يعلمه ، ولا حجة يدلى بها ﴿**ويتبع**﴾ فيما يقوله ويتعاطاه ويحتج به ويجادل عنه ﴿ **كل شيطان مريد** ﴾ أى متمرد على الله وهو العاتى ، سمى بذلك لخلوه عن كل خير ، والمراد : إبليس وجنوده ، أو رؤساء الكفار الذين يدعون أشياعهم إلى الكفر . وقال الواحدى : قال المفسرون : نزلت فى النضر بن الحارث وكان كثير الجدال ، وكان ينكر أن الله يقدر على إحياء الأموات . وقيل : نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة .

﴿ **كتب عليه أنه من تولاه** ﴾ أى كتب على الشيطان ، وفاعل كتب : أنه من تولاه ، والضمير للشأن، أى من اتخذه وليا ﴿ **فأنه يضله** ﴾ أى فشأن الشيطان أن يضله عن طريق الحقّ، فقوله : ﴿ **أنه يضله** ﴾ جواب الشرط إن جعلت من شرطية ، أو خبر الموصول إن جعلت موصولة، فقد وصف الشيطان بوصفين : الأوّل أنه مريد، والثانى ما أفاده جملة كتب عليه إلخ، وجملة : ﴿ **ويهديه إلى عذاب السعير** ﴾ معطوفة على جملة : ﴿ **يضله** ﴾ أى يحمله على مباشرة ما يصير به فى عذاب السعير .

ثم ذكر سبحانه ما هو المقصود من الاحتجاج على الكفار بعد فراغه من تلك المقدّمة، فقال: ﴿ **يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث** ﴾ قرأ الحسن : « البعث » بفتح العين وهى لغة ، وقرأ الجمهور بالسكون ، وشكهم يحتمل أن يكون فى وقوعه أو فى إمكانه . والمعنى : إن كنتم فى

شكّ من الإعادة فانظروا فى مبدأ خلقكم ، أى خلق أبيكم آدم ، ليزول عنكم الريب ، ويرتفع الشكّ وتدحض الشبهة الباطلة ﴿ **فإنا خلقناكم من تراب** ﴾ فى ضمن خلق أبيكم آدم « ثم » خلقناكم ﴿ **من نطفة** ﴾ أى من منى . سمى نطفة لقلته ، والنطفة : القليل من الماء . وقد يقع على الكثير منه . والنطفة : القطرة ، يقال: نطف ينطف ، أى قطر . وليلة نطوف ، أى دائمة القطر ﴿ **ثم من علقة** ﴾ والعلقة : الدم الجامد. والعلق : الدم العبيط، أى الطرى أو المتجمد . وقيل : الشديد الحمرة . والمراد : الدم الجامد المتكون من المنى ﴿ **ثم من مضغة** ﴾ وهى القطعة من اللحم، قدر ما يمضغ الماضغ تتكوّن من العلقة ﴿ **مخلقة** ﴾ بالجرّ صفة لمضغة ، أى مستبينة الخلق ظاهرة التصوير ﴿ **وغير مخلقة** ﴾ أى لم يستبن خلقها ولا ظهر تصويرها . قال ابن الأعرابى: مخلقة يريد: قد بدأ خلقه، وغير مخلقة: لم تصوّر. قال الأكثر: ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه ؛ فهو المخلقة وهو الذى ولد لتمام ، وما سقط ؛كان غير مخلقة أى غير حىّ بإكمال خلقته بالروح . قال الفراء : مخلقة : تامّ الخلق ، وغير مخلقة: السقط ، ومنه قول الشاعر :

أفى غير المخلقة البكاء فأين الحزم ويحك والحياء ؟

واللام فى ﴿ **لنبين لكم** ﴾ متعلق بخلقنا ، أى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم ﴿ **ونقر فى الأرحام ما نشاء** ﴾ روى أبو حاتم عن أبى زيد عن المفضل عن عاصم أنه قرأ بنصب نقر عطفا على نبين ، وقرأ الجمهور : ﴿ **نقر** ﴾ بالرفع على الاستئناف ، أى ونحن نقرّ . قال الزجاج : نقر بالرفع لا غير ، لأنه ليس المعنى فعلنا ذلك لنقرّ فى الأرحام ما نشاء . ومعنى الآية : ونثبت فى الأرحام ما نشاء فلا يكون سقطًا ﴿**إلى أجل مسمى** ﴾ وهو وقت الولادة ، وقال : ما نشاء ، ولم يقل : من نشاء ، لأنه يرجع إلى الحمل وهو جماد قبل أن ينفخ فيه الروح ، وقرئ . «ليبين » « ويقر » و « يخرجكم » بالتحتية فى الأفعال الثلاثة ، وقرأ ابن وثاب : « ما نشاء » بكسر النون ﴿ **ثم نخرجكم طفلا** ﴾ أى نخرجكم من بطون أمهاتكم طفلا ، أى أطفالا ، وإنما أفرده إرادة للجنس الشامل للواحد والمتعدد . قال الزجاج : طفلا فى معنى أطفالا ، ودلّ عليه ذكر الجماعة : يعنى فى : نخرجكم ، والعرب كثيرًا ما تطلق اسم الواحد على الجماعة ، ومنه قول الشاعر :

يلحيننى من حبها ويلمننى إن العواذل لسن لى بأمير

وقال المبرد : هو اسم يستعمل مصدرًا كالرضا والعدل ، فيقع على الواحد والجمع ، قال الله سبحانه : ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا ﴾ [النور : ٣١] . قال ابن جرير : هو منصوب على التمييز كقوله : ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ﴾ [النساء : ٤] وفيه بعد ، والظاهر انتصابه على الحال بالتأويل المذكور ، والطفل يطلق على الصغير من وقت انفصاله إلى البلوغ ﴿**ثم لتبلغوا أشدكم** ﴾ قيل :هو علة لنخرجكم معطوف على علة أخرى مناسبة له ، كأنه قيل : نخرجكم لتكبروا شيئًا فشيئًا ثم لتبلغوا إلى الأشد . وقيل : إن ثم زائدة والتقدير : لتبلغوا .

وقيل : إنه معطوف على نبين . والأشدّ هو : كمال العقل وكمال القوّة والتمييز . قيل : وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين . وقد تقدم الكلام فى هذا مستوفى فى الأنعام ﴿ **ومنكم من يتوفى**﴾ يعنى : قبل بلوغ الأشدّ، وقرئ : « يتوفى » مبنيا للفاعل . وقرأ الجمهور : ﴿ **يتوفى** ﴾ مبنيًا للمفعول ﴿ **ومنكم من يرد إلى أرذل العمر** ﴾ أى أخسه وأدونه ، وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ **لكيلا يعلم من بعد علم شيئا** ﴾ أى شيئًا من الأشياء ، أو شيئًا من العلم ، والمعنى : أنه يصير من بعد أن كان ذا علم بالأشياء وفهم لها ، لا علم له ولا فهم ، ومثله قوله: ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ [التين: ٤، ٥]، وقوله : ﴿ ومن نعمره ننكسه فى الخلق ﴾ [يس : ٦٨] . ﴿ **وترى الأرض هامدة** ﴾ هذه حجة أخرى على البعث، فإنه سبحانه احتج بإحياء الأرض بإنزال الماء ، على إحياء الأموات ، والهامدة : اليابسة التى لا تنبت شيئًا . قال ابن قتيبة : أى ميتة يابسة كالنار إذا طفئت . وقيل : دارسة ، والهمود : الدروس ، ومنه قول الأعشى :

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبًا وأرى ثيابك باليات همودا

وقيل : هى التى ذهب عنها الندى . وقيل : هالكة ، ومعانى هذه الأقوال متقاربة ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** ﴾ المراد بالماء هنا : المطر ، ومعنى اهتزت: تحركت. والاهتزاز : شدّة الحركة ، يقال : هززت الشيء فاهتزّ ، أى حركته فتحرك ؛ والمعنى : تحركت بالنبات ؛ لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزالة حقيقة ، فسماه اهتزازًا مجازًا . وقال المبرد : المعنى : اهتز نباتها فحذف المضاف . واهتزازه شدة حركته ، والاهتزاز فى النبات أظهر منه فى الأرض. ومعنى ربت : ارتفعت ، وقيل : انتفخت . والمعنى واحد ، وأصله : الزيادة، يقال: ربا الشيء يربو ربوًا: إذا زاد، ومنه الربا والربوة . وقرأ يزيد بن القعقاع وخالد بن إلياس: « وربأت » أى ارتفعت حتى صارت بمنزلة الرابية ، وهو الذى يحفظ القوم على مكان مشرف يقال له : رابئ ورابئة وربيئة ﴿ **وأنبتت** ﴾ أى أخرجت ﴿ **من كل زوج بهيج** ﴾ أى من كلّ صنف حسن ولون مستحسن ، والبهجة : الحسن .

وجملة: ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق**﴾ مستأنفة، لما ذكر افتقار الموجودات إليه سبحانه وتسخيرها على وفق إرادته واقتداره. قال بعد ذلك هذه المقالات، وهى إثبات أنه سبحانه الحق ، وأنه المتفرد بإحياء الموتى ، وأنه قادر على كل شيء من الأشياء ، والمعنى : أنه المتفرد بهذه الأمور، وأنها من شأنه لا يدّعى غيره أنه يقدر على كل منها ، فدلّ سبحانه بهذا على أنه الحق الحقيقى الغنى المطلق ؛ وأن وجود كل موجود مستفاد منه ، والحق هو الموجود الذى لا يتغير ولا يزول. وقيل: ذو الحقّ على عباده . وقيل : الحقّ فى أفعاله. قال الزجاج: ﴿**ذلك**﴾ فى موضع رفع ، أى الأمر ما وصفه لكم وبين بأن اللّه هو الحق . قال : ويجوز أن يكون ﴿**ذلك**﴾ نصبًا .

ثم أخبر سبحانه بأن ﴿ **الساعة آتية** ﴾ أى فى مستقبل الزمان، قيل: لا بدّ من إضمار فعل،

أى ولتعلموا أن الساعة آتية ﴿ **لا ريب فيها** ﴾ أى لا شك فيها ولا تردّد ، وجملة : ﴿ **لا ريب فيها** ﴾ خبر ثان للساعة ، أو فى محل نصب على الحال . ثم أخبر سبحانه عن البعث فقال : ﴿**وأن الله يبعثُ من فى القبور** ﴾ فيجازيهم بأعمالهم ، إن خيرًا فخير وإن شرا فشرّ ، وأن ذلك كائن لا محالة .

وقد أخرج سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم،والحاكم وصححه،وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين قال : لما نزلت ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ أنزلت عليه هذه وهو فى سفر ، فقال : « أتدرون أىّ يوم ذلك ؟ » قالوا : اللهّ ورسوله أعلم قال : « ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث بعث النار ، قال: ياربّ، وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار،وواحدًا إلى الجنة»، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ :« قاربوا وسدّدوا وأبشروا، فإنها لم تكن نبوّة قط إلا كان بين يديها جاهلية فتؤخذ العدّة من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة فى ذراع الدابة ، أو كالشامة فى جنب البعير»، ثم قال : «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبروا ، ثم قال : « إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبروا ، ثم قال: « إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا ، قال: ولا أدرى قال الثلثين أم لا [١]. وأخرج الترمذى وصححه، وابن جرير وابن المنذر عن عمران ابن حصين مرفوعًا نحوه، وقال فى آخره: « اعملوا وأبشروا ، فوالذى نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شىء إلا كثرتاه : يأجوج ومأجوج، ومن مات من بنى آدم ومن بنى إبليس » ، فسرى عن القوم بعض الذى يجدون ، قال : « اعملوا وأبشروا ، فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس إلا كالشامة فى جنب البعير، أو كالرقمة فى ذراع الدابة » [٢]. وأخرج عبد الرزاق وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وابن حبان والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن أنس مرفوعًا نحوه [٣]. وأخرج البزار وابن جرير وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أنس مرفوعًا نحوه أيضًا. وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى ﷺ فذكر نحوه[٤] ، وفى آخره فقال : « من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد ، وهل أنتم فى الأمم إلا كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود » .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة فى

---

(١) أحمد ٤/ ٤٣٥ والترمذى فى التفسير (٣١٦٨) وقال :« هذا حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير (٣٦٠) وابن جرير ١٧/ ٨٦ وصححه الحاكم ٢/ ٢٣٣، ٢٣٤ ووافقه الذهبى .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣١٦٩) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » وابن جرير ١٧/ ٨٦ .

(٣) ابن جرير ١٧/ ٨٧ وابن حبان (٧٣١٠) وصححه الحاكم ١/ ٢٩ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

(٤) البخارى فى الأنبياء (٣٣٤٨) ومسلم فى الإيمان (٢٢٢/ ٣٧٩) والنسائى فى التفسير (٣٥٩) .

قوله: ﴿ **كتب عليه** ﴾ قال : كتب على الشيطان . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد مثله : ﴿ **أنه من تولاه** ﴾ قال: اتبعه . وأخرج البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود قال : حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة،ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ، فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »(١) . والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدًا . وأخرج ابن أبى حاتم وصححه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **مخلقة وغير مخلقة** ﴾ قال : المخلقة : ما كان حيا ، وغير المخلقة : ما كان سقطًا . وروى نحو هذا عن جماعة من التابعين . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **من كل زوج بهيج** ﴾ قال : حسن . وأخرج عبد الله ابن أحمد فى زوائد الزهد عن معاذ بن جبل قال: من علم أن الله عزّ وجلّ حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور ؛ دخل الجنة .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥) وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ (١٦) ﴾.

قوله : ﴿ **ومن الناس من يجادل فى الله** ﴾ أى فى شأن الله ، كقول من قال : إن الملائكة بنات الله ، والمسيح ابن الله ، وعزير ابن الله . قيل : نزلت فى النضر بن الحارث . وقيل : فى أبى جهل . وقيل : هى عامة لكل من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم ، وعلى كل حال

(١) البخارى فى بدء الخلق (٣٢٠٨) ومسلم فى القدر (٢٦٤٣/١) وأبو داود فى السنة (٤٧٠٨) والترمذى فى القدر (٣١٣٧) وقال : « حديث حسن صحيح » وابن ماجة فى المقدمة (٧٦) وأحمد ١/ ٣٨٢ ، ٤٣٠ .

فالاعتبار بما يدلّ عليه اللفظ وإن كان السبب خاصًا . ومعنى اللفظ: ومن الناس فريق يجادل فى اللّه، فيدخل فى ذلك كل مجادل فى ذات اللّه ، أو صفاته أو شرائعه الواضحة، و﴿ **بغير علم** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى كائنًا بغير علم . قيل : والمراد بالعلم هو : العلم الضرورى، وبالهدى هو: العلم النظرى الاستدلالى. والأولى حمل العلم على العموم، وحمل الهدى على معناه اللغوى، وهو الإرشاد. والمراد بالكتاب المنير هو: القرآن، والمنير: النير البين الحجة الواضح البرهان، وهو وإن دخل تحت قوله: ﴿ **بغير علم** ﴾ فإفراده بالذكرلإفراد جبريل بالذكر عند ذكر الملائكة، وذلك لكونه الفرد الكامل الفائق على غيره من أفراد العلم . وأما من حمل العلم على الضرورى والهدى على الاستدلالى ، فقد حمل الكتاب هنا على الدليل السمعى ، فتكون الآية متضمنة لنفى الدليل العقلى ضروريًا كان أو استدلاليا، ومتضمنة لنفى الدليل النقلى بأقسامه ، وما ذكرناه أولى . قيل : والمرادبهذا المجادل فى هذه الآية هو المجادل فى الآية الأولى ، أعنى قوله : ﴿ ومن الناس من يجادل فى اللّه بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ [الحج : ٣] وبذلك قال كثير من المفسرين . والتكريرللمبالغة فى الذم كما تقول للرجل تذمه وتوبخه : أنت فعلت هذا أنت فعلت هذا ؟ ويجوز أن يكون التكرير لكونه وصفه فى كل آية بزيادة على ما وصفه به فى الآية الأخرى ، فكأنه قال : ومن الناس من يجادل فى اللّه ويتبع كلّ شيطان مريد بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ليضل عن سبيل الله . وقيل : الآية الأولى فى المقلدين اسم فاعل . والثانية فى المقلدين اسم مفعول . ولا وجه لهذا كما أنه لا وجه لقول من قال : إن الآية الأولى خاصة بإضلال المتبوعين لتابعيهم ، والثانية عامة فى كلّ إضلال وجدال .

وانتصاب ﴿ **ثانى عطفه** ﴾ على الحال من فاعل يجادل، والعطف: الجانب ، عطفا الرجل : جانباه من يمين وشمال، وفى تفسيره وجهان: الأوّل: أن المراد به من يلوى عنقه مرحًا وتكبرًا ، ذكر معناه الزجاج. قال: وهذا يوصف به المتكبر. والمعنى: ومن الناس من يجادل فى اللّه متكبراً. قال المبرد: العطف: ما انثنى من العنق. والوجه الثانى: أن المراد بقوله: ﴿**ثانى عطفه** ﴾: الإعراض، أى معرضًا عن الذكر ، كذا قال الفراء والمفضل وغيرهما كقوله تعالى: ﴿ ولى مستكبرا كأن لم يسمعها ﴾ [لقمان :٧]، وقوله: ﴿ لووا رؤوسهم ﴾ [المنافقون: ٥]، وقوله: ﴿ أعرض ونأى بجانبه﴾ [الإسراء : ٨٣]، واللام فى ﴿ **ليضل عن سبيل الله** ﴾ متعلق بـ﴿ **يجادل**﴾ أى أن غرضه هو الإضلال عن السبيل وإن لم يعترف بذلك. وقرئ: « ليضل » بفتح الياء على أن تكون اللام هى لام العاقبة كأنه جعل ضلاله غاية لجداله، وجملة: ﴿ **له فى الدنيا خزى** ﴾ مستأنفة مبينة لما يحصل له بسبب جداله من العقوبة. والخزى: الذل، وذلك بما يناله من العقوبة فى الدنيا من العذاب المعجل وسوء الذكر على ألسن الناس. وقيل: الخزى الدنيوى هو: القتل، كما وقع فى يوم بدر ﴿ **ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** ﴾ أى عذاب النار المحرقة .

والإشارة بقوله: ﴿**ذلك**﴾ إلى ماتقدّم من العذاب الدنيوى والأخروى، وهو مبتدأ خبره: ﴿**بما قدمت يداك**﴾، والباء للسببية، أى ذلك العذاب النازل بك بسبب ما قدّمته يداك من الكفر والمعاصى،

وعبر باليد عن جملة البدن لكون مباشرة المعاصى تكون بها فى الغالب ، ومحل أن وما بعدها فى قوله : ﴿ **وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف ، أى والأمر أنه سبحانه لا يعذب عباده بغير ذنب. وقد مرّ الكلام على هذه الآية فى آخر آل عمران فلا نعيده.

﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ هذا بيان لشقاق أهل الشقاق . قال الواحدى : قال أكثر المفسرين: الحرف: الشك، وأصله من حرف الشيء وهو طرفه، مثل حرف الجبل والحائط ، فإن القائم عليه غير مستقرّ ، والذى يعبد اللّه على حرف قلق فى دينه على غير ثبات وطمأنينة كالذى هو على حرف الجبل ونحوه يضطرب اضطرابا ويضعف قيامه فقيل للشاك فى دينه إنه يعبد الله على حرف ؛ لأنه على غير يقين من وعده ووعيده ، بخلاف المؤمن ؛ لأنه يعبده على يقين وبصيرة فلم يكن على حرف. وقيل: الحرف : الشرط ، أى ومن الناس من يعبد اللّه على شرط ، والشرط هو قوله : ﴿ **فإن أصابه خير اطمأن به** ﴾ أى خير دنيوى من رخاء وعافية وخصب وكثرة مال ، ومعنى ﴿ **اطمأن به** ﴾: ثبت على دينه واستمرّ على عبادته ، أو اطمأن قلبه بذلك الخير الذى أصابه ﴿ **وإن أصابته فتنة** ﴾ أى شيء يفتتن به من مكروه يصيبه فى أهله أو ماله أو نفسه ﴿**انقلب على وجهه** ﴾ أى ارتدّ ورجع إلى الوجه الذى كان عليه من الكفر، ثم بين حاله بعد انقلابه على وجهه فقال : ﴿ **خسر الدنيا والآخرة** ﴾ أى ذهبا منه وفقدهما ، فلا حظ له فى الدنيا من الغنيمة والثناء الحسن ، ولا فى الآخرة من الأجر وما أعدّه اللّه للصالحين من عباده . وقرأ مجاهد وحميد بن قيس والأعرج والزهرى وابن أبى إسحاق : «خاسرًا الدنيا والآخرة » على صيغة اسم الفاعل منصوبًا على الحال . وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف . والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى خسران الدنيا والآخرة وهو مبتدأ وخبره ﴿ **هو الخسران المبين** ﴾ أى الواضح الظاهر الذى لا خسران مثله ﴿ **يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه** ﴾ أى هذا الذى انقلب على وجهه ورجع إلى الكفر ﴿**يدعو من دون الله**﴾: أى يعبد متجاوزاً عبادة اللّه إلى عبادة الأصنام ﴿ **ما لا يضره** ﴾ إن ترك عبادته ، ﴿ **ولا ينفعه** ﴾ إن عبده لكون ذلك المعبود جماداً لا يقدر على ضرّ ولا نفع ، والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى الدعاء المفهوم من الفعل وهو يدعو، واسم الإشارة مبتدأ وخبره: ﴿ **هو الضلال البعيد** ﴾ أى عن الحق والرشد، مستعار من ضلال من سلك غير الطريق فصار بضلاله بعيدًا عنها. قال الفراء : البعيد : الطويل .

﴿ **يدعو لمن ضره أقرب من نفعه** ﴾ يدعو بمعنى : يقول ، والجملة مقرّرة لما قبلها من كون ذلك الدعاء ضلالا بعيدا . والأصنام لا نفع فيها بحال من الأحوال ، بل هى ضرر بحت لمن يعبدها ؛ لأنه دخل النار بسبب عبادتها . وإيراد صيغة التفضيل مع عدم النفع بالمرّة للمبالغة فى تقبيح حال ذلك الداعى،أو ذلك من باب ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ [سبأ: ٢٤]. واللام هى: الموطئة للقسم ومن موصولة أو موصوفة ، و﴿ **ضره** ﴾ مبتدأ خبره أقرب ، والجملة صلة الموصول . وجملة : ﴿ **لبئس المولى ولبئس العشير** ﴾ جواب القسم . والمعنى : أنه يقول ذلك الكافر يوم القيامة لمعبوده الذى ضره أقرب من نفعه : لبئس المولى

ولبئس العشير. والمولى: الناصر ، والعشير : الصاحب ، ومثل ما فى هذه الآية قول عنترة :

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

وقال الزجاج : يجوز أن يكون ﴿ **يدعو** ﴾ فى موضع الحال ، وفيه هاء محذوفة ، أى ذلك هو الضلال البعيد يدعوه وعلى هذا يوقف على ﴿ **يدعو** ﴾ ويكون قوله : ﴿ **لمن ضره أقرب من نفعه** ﴾ كلامًا مستأنفًا مرفوعًا بالابتداء ، وخبره : ﴿ **لبئس المولى** ﴾ . قال : وهذا لأن اللام لليمين والتوكيد فجعلها أوّل الكلام . وقال الزجاج والفراء : يجوز أن يكون ﴿ **يدعو** ﴾ مكررة على ما قبلها على جهة تكثير هذا الفعل الذى هو الدعاء،أى يدعو ما لا يضرّه ولا ينفعه يدعو، مثل ضربت زيدًا ضربت . وقال الفراء والكسائى والزجاج : معنى الكلام القسم . واللام مقدّمة على موضعها، والتقدير : يدعو من لضرّه أقرب من نفعه ، فمن فى موضع نصب بـ﴿**يدعو**﴾ ، واللام جواب القسم و ﴿ **ضره** ﴾ مبتدأ ، و ﴿ **أقرب** ﴾ خبره ، ومن التصرف فى اللام بالتقديم والتأخير قول الشاعر :

خالى لأنت ومن جرير خاله ينل العلاء ويكرم الأخوالا

أى لخالى أنت . قال النحاس : وحكى لنا على بن سليمان عن محمد بن يزيد قال : فى الكلام حذف ، والمعنى : يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه إلها . قال النحاس : وأحسب هذا القول غلطًا عن محمد بن يزيد ، ولعل وجهه أن ما قبل اللام هذه لا يعمل فيما بعدها . وقال الفراء أيضًا والقفال : اللام صلة ، أى زائدة ، والمعنى : يدعو من ضرّه أقرب من نفعه ، أى يعبده ، وهكذا فى قراءة عبد الله بن مسعود بحذف اللام ، وتكون اللام فى : ﴿ **لبئس المولى** ﴾ وفى : ﴿ **لبئس العشير** ﴾ على هذا موطئة للقسم .

﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار** ﴾ لما فرغ من ذكر حال المشركين،ومن يعبد اللَّه على حرف ذكر حال المؤمنين فى الآخرة ، وأخبر أنه يدخلهم هذه الجنات المتصفة بهذه الصفة،وقد تقدم الكلام فى جرى الأنهار من تحت الجنات،وبينا أنه إن أريد بها الأشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها،فجريان الأنهار من تحتها ظاهر؛ وإن أريد بها الأرض فلابد من تقدير مضاف ، أى من تحت أشجارها ﴿ **إن الله يفعل ما يريد** ﴾ هذه الجملة تعليل لما قبلها،أى يفعل ما يريده من الأفعال ﴿ **لا يسأل عما يفعل** ﴾ فيثيب من يشاء ويعذب من يشاء .

﴿ **من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة** ﴾ قال النحاس : من أحسن ما قيل فى هذه الآية أن المعنى : من كان يظن أن لن ينصر اللَّه محمدًا ﷺ وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذى أوتيه ﴿ **فليمدد بسبب إلى السماء** ﴾ أى فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ﴿ **ثم ليقطع** ﴾ أى ثم ليقطع النصر إن تهيأ له ﴿ **فلينظر هل يذهبن كيده** ﴾ وحيلته ﴿ **ما يغيظ** ﴾ من نصر النبى ﷺ . وقيل : المعنى : من كان يظن أن لن ينصر اللَّه محمدًا حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظًا ، ثم فسره بقوله : ﴿ **فليمدد بسبب إلى السماء** ﴾ أى فليشدد حبلا فى سقف بيته

﴿ **ثم ليقطع** ﴾ أى ثم ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقًا ، والمعنى : فليختنق غيظًا حتى يموت ، فإن اللّه ناصره ومظهره ، ولا ينفعه غيظه ، ومعنى ﴿ **فلينظر هل يذهبن كيده** ﴾ أى صنيعه وحيلته ما يغيظ ، أى غيظه ، « وما » مصدرية . وقيل : إن الضمير فى : ﴿ **ينصره** ﴾ يعود إلى من، والمعنى: من كان يظن أن اللّه لا يرزقه فليقتل نفسه ، وبه قال أبو عبيدة . وقيل: إن الضمير يعود إلى الدين ، أى من كان يظن أن لن ينصر الله دينه . وقرأ الكوفيون بإسكان اللام فى « ثم ليقطع » . قال النحاس : وهذه القراءة بعيدة من العربية .

﴿ **وكذلك أنزلناه آيات بينات** ﴾ أى مثل ذلك الإنزال البديع ، أنزلناه آيات واضحات ظاهرة الدلالة على مدلولاتها ﴿ **وأن الله يهدى من يريد** ﴾ هدايته ابتداء أو زيادة فيها لمن كان مهديا من قبل .

وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله : ﴿**ثانى عطفه** ﴾ قال : لاوى عنقه . وأخرج ابن حاتم عن ابن عباس والسدّى وابن يزيد وابن جرير أنه المعرض . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى قوله : ﴿**ثانى عطفه** ﴾ قال : أنزلت فى النضر بن الحارث . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى الآية قال : هو رجل من بنى عبد الدار . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه ﴿**ثانى عطفه** ﴾ قال : مستكبرًا فى نفسه .

وأخرج البخارى وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته غلامًا ونتجت خيله قال: هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عنه بسند صحيح قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبى ﷺ يسلمون ، فإذا رجعوا إلى بلادهم ، فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن . قالوا : إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به ، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام قحط ، قالوا : ما فى ديننا هذا خير ، فأنزل اللّه : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه أيضًا نحوه [١] . وفى إسناده العوفى . وأخرج ابن مردويه أيضًا من طريقه أيضًا عن أبى سعيد قال : أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام ، فأتى النبى ﷺ فقال : أقلنى أقلنى ، قال : « إن الإسلام لا يقال » ، فقال : لم أصب من دينى هذا خيرًا ، ذهب بصرى ومالى ومات ولدى ، فقال : « يايهودىّ ، الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة » ، فنزلت ﴿ **ومن الناس من يعبد اللّه على حرف** ﴾ .

وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه

---

(١) ابن جرير ١٧ / ٩٣ .

وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **من كان يظن أن لن ينصره الله** ﴾ قال من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا فى الدنيا والآخرة ﴿ **فليمدد بسبب** ﴾ قال : فليربط بحبل ﴿ **إلى السماء** ﴾ قال : إلى سماء بيته السقف ﴿ **ثم ليقطع** ﴾ قال : ثم يختنق به حتى يموت. وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عنه قال : ﴿ **من كان يظن أن لن ينصره** ﴾ يقول : أن لن يرزقه الله ﴿**فليمدد بسبب إلى السماء** ﴾ فليأخذ حبلا فليربطه فى سماء بيته فليختنق به ﴿ **فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ** ﴾ قال : فلينظر هل ينفعه ذلك أو يأتيه برزق .

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)** ﴾.

قوله : ﴿ **إن الذين آمنوا** ﴾ أى بالله وبرسوله ، أو بما ذكر من الآيات البينات ﴿ **والذين هادوا** ﴾ هم اليهود المنتسبون إلى ملة موسى ﴿ **والصابئين** ﴾ قوم يعبدون النجوم . وقيل : هم من جنس النصارى وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة إلى الأنبياء. ﴿ **والنصارى** ﴾ هم المنتسبون إلى ملة عيسى﴿ **والمجوس** ﴾ هم الذين يعبدون النار ، ويقولون : إن للعالم أصلين : النور والظلمة . وقيل : هم قوم يعبدون الشمس والقمر ، وقيل: هم قوم يستعملون النجاسات . وقيل: هم قوم من النصارى اعتزلوهم ولبسوا المسوح . وقيل : إنهم أخذوا بعض دين اليهود وبعض دين النصارى ﴿ **والذين أشركوا** ﴾ الذين يعبدون الأصنام، وقد مضى تحقيق هذا فى البقرة ، ولكنه سبحانه قدّم هنالك النصارى على الصابئين ، وأخرهم عنهم هنا. فقيل : وجه تقديم النصارى هنالك أنهم أهل كتاب دون الصابئين ، ووجه تقديم الصابئين هنا أن زمنهم متقدّم على زمن النصارى ، وجملة : ﴿ **إن الله يفصل بينهم يوم القيامة** ﴾ فى محل رفع على أنها خبر لإنّ المتقدّمة . ومعنى الفصل : أنه سبحانه يقضى بينهم فيدخل المؤمنين منهم الجنة والكافرين منهم النار . وقيل الفصل هو أن يميز المحقّ من المبطل بعلامة يعرف بها كل واحد منهما ، وجملة : ﴿ **إن الله على كل شيء شهيد** ﴾ تعليل لما قبلها ، أى أنه سبحانه

على كل شيء من أفعال خلقه وأقوالهم شهيد لا يعزب عنه شيء منها . وأنكر الفراء أن تكون جملة ﴿ **إن الله يفصل بينهم** ﴾ خبرًا لإن المتقدّمة . وقال لا يجوز فى الكلام : إن زيداً إن أخاه منطلق ، وردّ الزجاج ما قاله الفراء، وأنكره وأنكر ما جعله مماثلا للآية ، ولا شك فى جواز قولك: إن زيدًا إن الخير عنده ،وإن زيدًا إنه منطلق ، ونحو ذلك .

﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض** ﴾ الرؤية هنا هى القلبية لا البصرية ، أى ألم تعلم . والخطاب لكل من يصلح له ، وهو من تتأتى منه الرؤية ، والمراد بالسجود هنا هو : الانقياد الكامل ، لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء ، سواء جعلت كلمة من خاصة بالعقلاء ، أو عامة لهم ولغيرهم ، ولهذا عطف ﴿ **الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب** ﴾ على من، فإن ذلك يفيد أن السجود هو الانقياد لا الطاعة الخاصة بالعقلاء، وإنما أفرد هذه الأمور بالذكر مع كونها داخلة تحت من ، على تقدير جعلها عامة لكون قيام السجود بها مستبعدًا فى العادة ، وارتفاع ﴿ **كثير من الناس** ﴾ بفعل مضمر يدل عليه المذكور ، أى ويسجد له كثير من الناس. وقيل: مرتفع على الابتداء وخبره محذوف وتقديره : وكثير من الناس يستحق الثواب ، والأوّل أظهر . وإنما لم يرتفع بالعطف على من ، لأن سجود هؤلاء الكثير من الناس هو سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء ، والمراد بالسجود المتقدّم هو : الانقياد ، فلو ارتفع بالعطف على من لكان فى ذلك جمع بين معنيين مختلفين فى لفظ واحد . وأنت خبير بأنه لا ملجئ إلى هذا بعد حمل السجود على الانقياد ، ولا شك أنه يصح أن يراد من سجود كثير من الناس هو انقيادهم لا نفس السجود الخاص ، فارتفاعه على العطف لا بأس به ، وإن أبى ذلك صاحب الكشاف ومتابعوه، وأما قوله: ﴿ **وكثير حق عليه العذاب** ﴾ فقال الكسائى والفراء: إنه مرتفع بالابتداء وخبره ما بعده . وقيل : هو معطوف على كثير الأوّل ، ويكون المعنى : وكثير من الناس يسجد وكثير منهم يأبى ذلك . وقيل : المعنى : وكثير من الناس فى الجنة ، وكثير حق عليه العذاب هكذا حكاه ابن الأنبارى ﴿ **ومن يهن الله فماله من مكرم** ﴾ أى من أهانه الله بأن جعله كافرًا شقيا ، فما له من مكرم يكرمه فيصير سعيدا عزيزا . وحكى الأخفش والكسائى والفراء أن المعنى : ومن يهن الله فما له من مكرم، أى إكرام ﴿ **إن الله يفعل ما يشاء** ﴾ من الأشياء التى من جملتها ما تقدّم ذكره من الشقاوة والسعادة والإكرام والإهانة .

﴿ **هذان خصمان** ﴾ الخصمان أحدهما : أنجس الفرق : اليهود والنصارى والصابئون والمجوس والذين أشركوا ، والخصم الآخر : المسلمون ، فهما فريقان مختصمان . قاله الفراء وغيره . وقيل : المراد بالخصمين : الجنة والنار . قالت الجنة: خلقنى لرحمته ، وقالت النار : خلقنى لعقوبته . وقيل : المراد بالخصمين : هم الذين برزوا يوم بدر ، فمن المؤمنين : حمزة وعلىّ وعبيدة ، ومن الكافرين : عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة . وقد كان أبو درّ رضى

الله عنه يقسم أن هذه الآية نزلت فى هؤلاء المتبارزين كما ثبت عنه فى الصحيح [١] ، وقال بمثل هذا جماعة من الصحابة ، وهم أعرف من غيرهم بأسباب النزول . وقد ثبت فى الصحيح أيضًا عن على أنه قال : فينا نزلت هذه الآية [٢] . وقرأ ابن كثير « هذان » بتشديد النون ، وقال سبحانه : ﴿ **اختصموا** ﴾ ولم يقل : اختصما . قال الفراء : لأنهم جمع ، ولو قال اختصما لجاز ، ومعنى ﴿ **فى ربهم** ﴾ فى شأن ربهم ، أى فى دينه ، أو فى ذاته ، أو فى صفاته ، أو فى شريعته لعباده ، أو فى جميع ذلك .

ثم فصل سبحانه ما أجمله فى قوله : ﴿ **يفصل بينهم** ﴾ فقال : ﴿ **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار** ﴾ قال الأزهرى : أى سوّيت وجعلت لبوسًا لهم ، شبهت النار بالثياب ؛ لأنها مشتملة عليهم كاشتمال الثياب . وعبر بالماضى عن المستقبل تنبيهاً على تحقق وقوعه . وقيل: إن هذه الثياب من نحاس قد أذيب فصار كالنار ، وهى السرابيل المذكورة فى آية أخرى. وقيل : المعنى فى الآية : أحاطت النار بهم . وقرئ : « قطعت » بالتخفيف ، ثم قال سبحانه : ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم** ﴾ والحميم هو : الماء الحار المغلى بنار جهنم ، والجملة مستأنفة أو هى خبر ثان للموصول ﴿ **يصهر به ما فى بطونهم** ﴾ الصهر : الإذابة ، والصهارة : ما ذاب منه ، يقال : صهرت الشىء فانصهر،أى أذبته فذاب فهو صهير، والمعنى: أنه يذاب بذلك الحميم ما فى بطونهم من الأمعاء والأحشاء ﴿ **والجلود** ﴾ معطوفة على ما ، أى ويصهر به الجلود والجملة فى محل نصب على الحال. وقيل : إن الجلود لا تذاب ، بل تحرق ، فيقدّر فعل يناسب ذلك ، ويقال : وتحرق به الجلود كما فى قول الشاعر :

علفتها تبنًا وماءً باردًا

أى وسقيتها ماء ، ولا يخفى أنه لا ملجئ لهذا ، فإن الحميم إذا كان يذيب ما فى البطون فإذابته للجلد الظاهر بالأولى. ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾: المقامع جمع مقمعة ومقمع ، قمعته: ضربته بالمقمعة ، وهى قطعة من حديد . والمعنى : لهم مقامع من حديد يضربون بها ، أى للكفرة ، وسميت المقامع مقامع ؛ لأنها تقمع المضروب ، أى تذلله . قال ابن السكيت : أقمعت الرجل عنى إقماعًا : إذا اطلع عليك فرددته عنك ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها** ﴾ أى من النار ﴿ **أعيدوا فيها** ﴾ أى فى النار بالضرب بالمقامع ، و ﴿ **من غم** ﴾ بدل من الضمير فى منها بإعادة الجارّ أو مفعول له ، أى لأجل غمّ شديد من غموم النار ﴿ **وذوقوا عذاب الحريق** ﴾ هو بتقدير القول ، أى أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب الحريق ، أى العذاب المحرق ، وأصل الحريق الاسم من الاحتراق ، تحرّق الشيء بالنار واحترق حرقة واحتراقًا ، والذوق مماسة يحصل معها إدراك الطعم ، وهو هنا توسع ، والمراد به إدراك الألم . قال الزجاج : وهذا لأحد الخصمين . وقال فى الخصم الآخر وهم المؤمنون : ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات**

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٧٤٣) . (٢) المرجع السابق (٤٧٤٤) .

جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ فبين سبحانه حال المؤمنين بعد بيانه لحال الكافرين .

ثم بين اللّه سبحانه بعض ما أعدّه لهم من النعيم بعد دخولهم الجنة فقال : ﴿ **يحلون فيها**﴾ قرأ الجمهور ﴿ **يحلون** ﴾ بالتشديد والبناء للمفعول ، وقرئ مخففًا ، أى يحليهم اللّه أو الملائكة بأمره . و « من » فى قوله :﴿ **من أساور** ﴾ للتبعيض، أى يحلون بعض أساور ، أو للبيان ، أو زائدة ، و « من » فى ﴿ **من ذهب** ﴾ للبيان ، والأساور : جمع أسورة والأسورة: جمع سوار. وفى السوار لغتان: كسر السين وضمها ،وفيه لغة ثالثة ،وهى «إسوار ». قرأ نافع وابن كثير وعاصم وشيبة ﴿ **ولؤلؤا** ﴾ بالنصب عطف على محل ﴿ **أساور** ﴾ أى ويحلون لؤلؤا ، أو بفعل مقدّر ينصبه،وهكذا قرأ بالنصب يعقوب والجحدرى وعيسى بن عمر ، وهذه القراءة هى الموافقة لرسم المصحف فإن هذا الحرف مكتوب فيه بالألف، وقرأ الباقون بالجرّ عطفًا على ﴿ **أساور** ﴾ أى يحلون من أساور ومن لؤلؤ ، واللؤلؤ : ما يستخرج من البحر من جوف الصدف . قال القشيرى : والمراد ترصيع السوار باللؤلؤ ، ولا يبعد أن يكون فى الجنة سوار من لؤلؤ مصمت كما أن فيها أساور من ذهب ﴿ **ولباسهم فيها حرير**﴾ أى جميع ما يلبسونه حرير كما تفيده هذه الإضافة ، ويجوز أن يراد أن هذا النوع من الملبوس الذى كان محرّمًا عليهم فى الدنيا حلال لهم فى الآخرة ، وأنه من جملة ما يلبسونه فيها ، ففيها ما تشتهيه الأنفس ، وكل واحد منهم يعطى ما تشتهيه نفسه وينال ما يريده .

﴿ **وهدوا إلى الطيب من القول** ﴾ أى أرشدوا إليه ، قيل : هو لا إله إلا الله . وقيل : الحمد لله . وقيل : القرآن . وقيل : هو ما يأتيهم من اللّه سبحانه من البشارات . وقد ورد فى القرآن ما يدلّ على هذا القول المجمل هنا، وهو قوله سبحانه: ﴿ الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴾ [الزمر : ٧٤] ، ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ [الأعراف : ٤٣] ، ﴿ الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ [فاطر : ٣٤] . ومعنى ﴿ **وهدوا إلى صراط الحميد** ﴾ : أنهم أرشدوا إلى الصراط المحمود وهو طريق الجنة ، أو صراط اللّه الذى هو دينه القويم ، وهو الإسلام .

وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله : ﴿**والصابئين** ﴾ قال : هم قوم يعبدون الملائكة ، ويصلون القبلة ، ويقرؤون الزبور ﴿ **والمجوس**﴾ عبدة الشمس والقمر والنيران،﴿ **والذين أشركوا** ﴾ عبدة الأوثان ﴿ **إن الله يفصل بينهم** ﴾ قال : الأديان ستة ؛ فخمسة للشيطان ، ودين للّه عزّ وجل . وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة فى الآية قال : فصل قضاءه بينهم فجعل الخمسة مشتركة وجعل هذه الأمة واحدة . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: الذين هادوا: اليهود ، والصابئون : ليس لهم كتاب ، والمجوس : أصحاب الأصنام ، والمشركون : نصارى العرب .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى ذرّ ، أنه كان يقسم قسمًا أن هذه الآية : ﴿**هذان خصمان** ﴾ الآية نزلت فى الثلاثة والثلاثة الذين بارزوا يوم بدر ، وهم حمزة بن عبد المطلب

وعبيدة بن الحارث وعلىّ بن أبى طالب ، وعتبة ، وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة [١] ، قال علىّ : وأنا أوّل من يجثو فى الخصومة على ركبتيه بين يدى اللّه يوم القيامة . وأخرجه البخارى وغيره من حديث على[٢] . وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس بنحوه، وهكذا روى عن جماعة من التابعين . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿**قطعت لهم ثياب من نار**﴾ قال : من نحاس، وليس من الآنية شيء إذا حمى أشدّ حرّا منه، وفى قوله : ﴿ **يصب من فوق رؤوسهم الحميم** ﴾ قال : النحاس يذاب على رؤوسهم، وقوله : ﴿ **يصهر به ما فى بطونهم** ﴾ قال : تسيل أمعاؤهم ﴿ **والجلود** ﴾ قال : تتناثر جلودهم. وأخرج عبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، وعبد اللّه بن أحمد فى زوائد الزهد ، وابن جرير وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، وأبونعيم فى الحلية، وابن مردويه عن أبى هريرة؛ أنه تلا هذه الآية: ﴿**يصب من فوق رؤوسهم الحميم**﴾ فقال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان » [٣] . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **يصهر به مافى بطونهم** ﴾ قال: يمشون وأمعاؤهم تتساقط وجلودهم. وفى قوله: ﴿**ولهم مقامع من حديد**﴾ قال: يضربون بها، فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالويل والثبور . وأخرج ابن جرير عنه فى الآية قال : يسقون ماء إذا دخل فى بطونهم أذابها والجلود مع البطون . وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث والنشور عن أبى سعيد الخدرى عن رسول اللّه ﷺ قال : « لو أن مقمعًا من حديد وضع فى الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض ، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان» [٤] .

وأخرج ابن المبارك وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه عن سلمان قال: النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها ، ثم قرأ : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ . وفى الصحيحين وغيرهما عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » [٥]. وفى الباب أحاديث [٦] .

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٧٤٣) ومسلم فى التفسير (٣٠٣٣ / ٣٤) .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٧٤٤) .

(٣) الترمذى فى صفة جهنم (٢٥٨٢) وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب » ، وابن جرير ١٧/ ١٠٠ وصححه الحاكم ٢/ ٣٨٧، ووافقه الذهبىّ ، وأبو نعيم فى الحلية ٨/ ١٨٢ .

(٤) أحمد ٣/ ٢٩ وأبو يعلى (١٣٨٨) وإسناده ضعيف ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٩١ : « فيه ضعفاء قد وثقوا » وصححه الحاكم ٤/ ٦٠٠ وسكت عنه الذهبى .

(٥) البخارى فى اللباس (٥٨٣٠) ومسلم فى اللباس (٢٠٦٩/ ١١) وأحمد ١/ ٢٠ .

(٦) أخرج الترمذى عن أبى موسى الأشعرى أن رسول اللّه ﷺ قال: « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى وأحل لإناثهم ».

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وهدوا إلى الطيب من القول** ﴾ قال: ألهموا. وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى العالية قال: هدوا إلى الطيب من القول فى الخصومة إذ قالوا : الله مولانا ولا مولى لكم. وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن إسماعيل بن أبى خالد فى الآية قال : القرآن ﴿ **وهدوا إلى صراط الحميد** ﴾ قال : الإسلام . وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم عن الضحّاك فى الآية قال : الإسلام . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله الذى قال : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ [فاطر : ١٠] .

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)** ﴾.

قوله : ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله** ﴾ عطف المضارع على الماضى ؛ لأن المراد بالمضارع ما مضى من الصدّ، ومثل هذا قوله: ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ [محمد: ١] ، أو المراد بالصدّ هاهنا : الاستمرار لا مجرّد الاستقبال ، فصح بذلك عطفه على الماضى ، ويجوز أن تكون الواو فى : ﴿ **ويصدون** ﴾ واو الحال ، أى كفروا والحال أنهم يصدون. وقيل : الواو زائدة والمضارع خبر إن ،والأولى أن يقدر خبر إن بعد قوله: ﴿ **والباد** ﴾ وذلك نحو خسروا أو هلكوا . وقال الزجاج : إن الخبر ﴿ **نذقه من عذاب أليم** ﴾ وردّ بأنه لو كان خبرًا لإن لم يجزم وأيضًا لو كان خبرًا لإن لبقى الشرط وهو ﴿**ومن يرد**﴾ بغير جواب ، فالأولى أنه محذوف كما ذكرنا . والمراد بالصدّ : المنع وبسبيل الله : دينه ، أى يمنعون من أراد الدخول فى دين الله و﴿ **المسجد الحرام** ﴾ معطوف على ﴿ **سبيل الله** ﴾ قيل: المراد به : المسجد نفسه، كما هو الظاهر من هذا النظم القرآنى . وقيل : الحرم كله ؛ لأن المشركين صدّوا رسول الله ﷺ وأصحابه عنه يوم الحديبية . وقيل : المراد به : مكة بدليل قوله : ﴿ **الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد** ﴾ أى جعلناه للناس على العموم يصلون فيه ويطوفون به مستويًا فيه العاكف وهو المقيم فيه الملازم له ، والباد أى الواصل من البادية ، والمراد به : الطارئ عليه من غير فرق بين كونه من أهل البادية أو من غيرهم . وانتصاب ﴿ **سواء** ﴾ على أنه المفعول الثانى لجعلناه ، وهو بمعنى مستويًا ، و﴿ **العاكف** ﴾ مرتفع به ، وصف المسجد الحرام بذلك لزيادة التقريع والتوبيخ للصادّين عنه، ويحتمل أن يكون انتصاب ﴿**سواء**﴾ على الحال. وهذا على قراءة النصب، وبها قرأ حفص

عن عاصم، وهى قراءة الأعمش، وقرأ الجمهور برفع ﴿**سواء**﴾ على أنه مبتدأ وخبره ﴿**العاكف**﴾ أوعلى أنه خبر مقدم، والمبتدأ ﴿**العاكف**﴾ أى العاكف فيه والبادى سواء، وقرئ بنصب ﴿**سواء**﴾ وجر ﴿ **العاكف** ﴾ على أنه صفة للناس ، أى جعلناه للناس ، العاكف والبادى سواء ، وأثبت الياء فى البادى ابن كثير وصلا ووقفا ، وحذفها أبو عمرو فى الوقف ، وحذفها نافع فى الوصل والوقف. قال القرطبى : وأجمع الناس على الاستواء فى المسجد الحرام نفسه .

واختلفوا فى مكة فذهب مجاهد ومالك إلى أن دور مكة ومنازلها يستوى فيها المقيم والطارئ . وذهب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة إلى أن للقادم أن ينزل حيث وجد ، وعلى ربّ المنزل أن يؤويه شاء أم أبى . وذهب الجمهور إلى أن دور مكة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام ، ولأهلها منع الطارئ من النزول فيها . والحاصل أن الكلام فى هذا راجع إلى أصلين : الأصل الأول : ما فى هذه الآية : هل المراد بالمسجد الحرام: المسجد نفسه . أو جميع الحرم ، أو مكة على الخصوص ؟ والثانى: هل كان فتح مكة صلحًا أو عنوة ؟ وعلى فرض أن فتحها كان عنوة هل أقرّها النبّى ﷺ فى يد أهلها على الخصوص ؟ أو جعلها لمن نزل بها على العموم ؟ وقد أوضحنا هذا فى شرحنا على المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه إلى زيادة .

﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ مفعول يرد محذوف لقصد التعميم ، والتقدير: ومن يرد فيه مرادًا، أىّ مراد بإلحاد ، أى بعدول عن القصد. والإلحاد فى اللغة: الميل، إلا أنه سبحانه بين هنا أنه الميل بظلم . وقد اختلف فى هذا الظلم ماذا هو ؟ فقيل : هو الشرك. وقيل : الشرك والقتل ، وقيل : صيد حيواناته وقطع أشجاره، وقيل : هو الحلف فيه بالأيمان الفاجرة ، وقيل : المراد : المعاصى فيه على العموم . وقيل : المراد بهذه الآية أنه يعاقب بمجرد الإرادة للمعصية فى ذلك المكان . وقد ذهب إلى هذا ابن مسعود وابن عمر والضحّاك وابن زيد وغيرهم حتى قالوا : لو هم الرجل فى الحرم بقتل رجل بعدن لعذّبه اللّه . والحاصل : أن هذه الآية دلت على أن من كان فى البيت الحرام مأخوذ بمجرد الإرادة للظلم ، فهى مخصصة لما ورد من أن الله غفر لهذه الأمة ما حدثت به أنفسها ، إلا أن يقال : إن الإرادة فيها زيادة على مجرّد حديث النفس ، وبالجملة فالبحث عن هذا وتقرير الحق فيه على وجه يجمع بين الأدلة ويرفع الإشكال يطول جدًا ، ومثل هذه الآية حديث : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قيل : يا رسول اللّه ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال: « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه» [1] فدخل النار هنا بسبب مجرّد حرصه على قتل صاحبه . وقد أفردنا هذا البحث برسالة مستقلة ، والباء فى قوله: ﴿ **بإلحاد** ﴾ إن كان مفعول ﴿ **يرد** ﴾ محذوفًا كما ذكرنا فليست بزائدة . وقيل : إنها زائدة هنا كقول الشاعر :

نحن بنو جعدة أصحاب الفَلَج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

---

(١) البخارى فى الإيمان (٣١) .

أى نرجو الفرج ، ومثله :

ألم يأتيـــك والأنــباء تنمى ... بمـــا لاقـــت لبـــون بنـــى زياد

أى ما لاقت. ومن القائلين بأنها زائدة الأخفش ؛ والمعنى عنده : ومن يرد فيه إلحادًا بظلم. وقال الكوفيون : دخلت الباء لأن المعنى : بأن يلحد ، والباء مع أن تدخل وتحذف ، ويجوز أن يكون التقدير: ومن يرد الناس بإلحاد. وقيل : إن ﴿**يرد**﴾ مضمن معنى : يهمّ ، والمعنى : ومن يهمّ فيه بإلحاد . وأما الباء فى قوله : ﴿ **بظلم** ﴾ فهى للسببية والمعنى : ومن يرد فيه بإلحاد بسبب الظلم ، ويجوز أن يكون ﴿ **بظلم** ﴾ بدلا من ﴿ **بإلحاد** ﴾ بإعادة الجارّ ، ويجوز أن يكون حالين مترادفين .

﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** ﴾ أى واذكر وقت ذلك ، يقال: بوأته منزلا وبوأت له، كما يقال: مكنتك ومكنت لك . قال الزجاج: معناه: جعلنا مكان البيت مبوأ لإبراهيم ، ومعنى ﴿ **بوأنا** ﴾ : بينا له مكان البيت ، ومثله قول الشاعر :

كـم مـن أخ لى مـاجد ... بـوأته بيـــدىّ لحـــدًا

وقال الفراء : إن اللام زائدة ومكان ظرف ، أى أنزلناه فيه ﴿ **ألا تشرك بى شيئا** ﴾ قيل : إن هذه هى مفسرة لبوأنا ، لتضمنه معنى : تعبدنا ؛ لأن التبوئة هى للعبادة . وقال أبو حاتم : هى مصدرية ، أى لأن لا تشرك بى. وقيل: هى المخففة من الثقيلة. وقيل هى زائدة . وقيل : معنى الآية : وأوحينا إليه أن لا تعبد غيرى . قال المبرد : كأنه قيل له : وحدنى فى هذا البيت ، لأن معنى لا تشرك بى : وحدنى ﴿ **وطهر بيتى** ﴾ من الشرك وعبادة الأوثان . وفى الآية طعن على ما أشرك من قطان البيت ، أى هذا كان الشرط على أبيكم فمن بعده وأنتم ، فلم تفوا بل أشركتم . وقالت فرقة: الخطاب بقوله : ﴿ **ألا تشرك** ﴾ لمحمد ﷺ وهذا ضعيف جدا . ومعنى ﴿ **وطهر بيتى** ﴾: تطهيره من الكفر والأوثان والدماء وسائر النجاسات ، وقيل : عنى به التطهير عن الأوثان فقط ، وذلك أن جرهما والعمالقة كانت لهم أصنام فى محل البيت وقد مرّ فى سورة براءة ما فيه كفاية فى هذا المعنى . والمراد بالقائمين هنا هم : المصلون وذكر ﴿**الركع السجود** ﴾ بعده لبيان أركان الصلاة دلالة على عظم شأن هذه العبادة ، وقرن الطواف بالصلاة ؛ لأنهما لا يشرعان إلا فى البيت فالطواف عنده والصلاة إليه .

﴿ **وأذن فى الناس بالحج** ﴾ قرأ الحسن وابن محيصن : « وآذن » بتخفيف الذال والمد . وقرأ الباقون بتشديد الذال . والأذان :الإعلام ، وقد تقدّم فى براءة . قال الواحدى : قال جماعة المفسرين : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت جاءه جبريل فأمره أن يؤذّن فى الناس بالحج ، فقال : يارّب ، من يبلغ صوتى ؟ فقال اللّه سبحانه : أذن وعلىّ البلاغ ، فعلا المقام فأشرف به حتى صار كأعلى الجبال ، فأدخل أصبعيه فى أذنيه ، وأقبل بوجهه يمينًا وشمالا وشرقًا وغربًا وقال : يأيها الناس ، كتب عليكم الحجّ إلى البيت فأجيبوا ربكم ، فأجابه من كان فى أصلاب الرجال

وأرحام النساء : لبيك اللهم لبيك . وقيل : إن الخطاب لنبينا محمد ﷺ ، والمعنى : أعلمهم يامحمد بوجوب الحجّ عليهم ،وعلى هذا فالخطاب لإبراهيم انتهى عند قوله : ﴿ **والركع السجود** ﴾ . وقيل : إن خطابه انقضى عند قوله ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** ﴾ وأن قوله : ﴿**أن لا تشرك بى** ﴾ وما بعده خطاب لنبينا محمد ﷺ ، وقرأ الجمهور ﴿ **بالحج** ﴾ بفتح الحاء ، وقرأ ابن أبى إسحاق فى كلّ القرآن بكسرها ﴿ **يأتوك رجالا** ﴾ هذا جواب الأمر ، وعده اللّه إجابة الناس له إلى حجّ البيت ما بين راجل وراكب، فمعنى ﴿ **رجالا** ﴾ : مشاة ، جمع راجل . وقيل :جمع رجل. وقرأ ابن أبى إسحاق « رجالا » بضم الراء وتخفيف الجيم . وقرأ مجاهد : « رجالى » على وزن فعالى مثل كسالى . وقدّم الرجال على الركبان فى الذكر لزيادة تعبهم فى المشى ، وقال . ﴿ **يأتوك** ﴾ وإن كانوا يأتون البيت ، لأن من أتى الكعبة حاجًا فقد أتى إبراهيم، لأنه أجاب نداءه ﴿ **وعلى كل ضامر** ﴾ عطف على ﴿ **رجالا** ﴾ أى وركبانا على كل بعير . والضامر: البعير المهزول الذى أتعبه السفر ، يقال : ضمر يضمر ضمورًا، ووصف الضامر بقوله: ﴿ **يأتين** ﴾ باعتبار المعنى ؛ لأن ضامر فى معنى ضوامر ، وقرأ أصحاب ابن مسعود وابن أبى عبلة والضحّاك « يأتون » على أنه صفة لـ ﴿ **رجالا** ﴾: والفجّ : الطريق الواسع ، الجمع فجاج، والعميق : البعيد .

واللام فى ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ متعلقة بقوله : ﴿ **يأتوك** ﴾.وقيل : بقوله : ﴿ **وأذن** ﴾ والشهود : الحضور، والمنافع هى تعمّ منافع الدنيا والآخرة. وقيل : المراد بها : المناسك. وقيل: المغفرة . وقيل : التجارة كما فى قوله : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] . ﴿ **ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات** ﴾ أى يذكروا عند ذبح الهدايا والضحايا اسم اللّه . وقيل : إن هذا الذكر كناية عن الذبح ؛ لأنه لا ينفك عنه . والأيام المعلومات هى : أيام النحر ، كما يفيد ذلك قوله: ﴿ **على ما رزقهم من بهيمة الأنعام** ﴾. وقيل. عشر ذى الحجة . وقد تقدّم الكلام فى الأيام المعلومات والمعدودات فى البقرة فلا نعيده ، والكلام فى وقت ذبح الأضحية معروف فى كتب الفقه وشروح الحديث . ومعنى ﴿ **على ما رزقهم** ﴾ : على ذبح ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وهى الإبل والبقر والغنم . وبهيمة الأنعام هى الأنعام، فالإضافة فى هذا كالإضافة فى قولهم: مسجد الجامع وصلاة الأولى ﴿ **فكلوا منها**﴾ الأمر هنا للندب عند الجمهور ، وذهبت طائفة إلى أن الأمر للوجوب ، وهذا التفات من الغيبة إلى الخطاب ﴿ **وأطعموا البائس الفقير** ﴾ البائس:ذو البؤس وهو شدة الفقر ، فذكر الفقير بعده؛ لمزيد الإيضاح . والأمر هنا للوجوب . وقيل : للندب .

﴿ **ثم ليقضوا تفثهم** ﴾ المراد بالقضاء هنا هو : التأدية ، أى ليؤدوا إزالة وسخهم ؛ لأن التفث هو : الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار ، وقد أجمع المفسرون ، كما حكاه النيسابورى ، على هذا . قال الزجاج : إن أهل اللغة لا يعرفون التفث . وقال أبو عبيدة : لم يأت فى الشرع ما يحتجّ به فى معنى التفث . وقال المبرّد : أصل التفث فى اللغة : كل قاذورة

تلحق الإنسان . وقيل : قضاؤه ادّهانه ؛ لأن الحاجّ مغبرّ شعث لم يدهن ولم يستحد ، فإذ قضى نسكه وخرج من إحرامه حلق شعره ولبس ثيابه ، فهذا هو قضاء التفث . قال الزجاج : كأنه خروج من الإحرام إلى الإحلال ﴿ **وليوفوا نذورهم** ﴾ أي ما ينذرون به من البرّ في حجهم، والأمر للوجوب . وقيل : المراد بالنذور هنا أعمال الحج ﴿ **وليطوفوا بالبيت العتيق** ﴾ هذا الطواف هو طواف الإفاضة . قال ابن جرير : لا خلاف في ذلك بين المتأوّلين . والعتيق : القديم ، كما يفيده قوله سبحانه : ﴿ إن أول بيت وضع للناس ﴾ الآية [آل عمران : ٩٦] . وقد سمي العتيق لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار. وقيل : لأن الله يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب . وقيل : لأنه أعتق من غرق الطوفان . وقيل : العتيق : الكريم .

وقد أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في قوله: ﴿ **والمسجد الحرام** ﴾ قال : الحرم كله ، وهو المسجد الحرام ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾ قال : خلق الله فيه سواء . وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير مثله .وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال : هم في منازل مكة سواء ، فينبغي لأهل مكة أن يوسعوا لهم حتى يقضوا مناسكهم . وقال : البادي وأهل مكة سواء ، يعني في المنزل والحرم . وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو قال : من أخذ من أجور بيوت مكة إنما يأكل في بطونه نارًا . وأخرج ابن سعد عن عمر بن الخطاب أن رجلا قال له عند المروة : يا أمير المؤمنين ، أقطعني مكانًا لي ولعقبي، فأعرض عنه عمر وقال: هو حرم الله، سواء العاكف فيه والبادِ . وأخرج ابن أبي شيبة عن عطاء قال : كان عمر يمنع أهل مكة أن يجعلوا لها أبوابا حتى ينزل الحاجّ في عرصات الدور . وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله : ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾ قال : «سواء المقيم والذي يرحل»[(١)] . وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: « مكة مباحة لا تؤجر بيوتها ولا تباع رباعها » . وأخرج ابن أبي شيبة وابن ماجة عن علقمة بن نضلة قال: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة إلا السوائب ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن [(٢)] . رواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن أبي حفرة عن عثمان بن أبي سليمان عن علقمة فذكره . وأخرج الدارقطني عن ابن عمر مرفوعًا : « من أكل كراء بيوت مكة أكل نارًا »[(٣)].

وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن راهويه وأحمد وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن

---

(١) الطبراني (١٢٤٩٦) وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ٧٣ : « فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف » .

(٢) ابن ماجة في المناسك (٣١٠٧) وفي الزوائد : « إسناده صحيح على شرط مسلم . وليس لعلقمة بن نضلة عند ابن ماجة سوى هذا الحديث وليس له شيء في بقية الكتب ، وقال الدميري : علقمة بن نضلة لا يصح له صحبة وليس له في الكتب شيء سواه » .

(٣) الدارقطني في الحج ٢/ ٣٠٠ .

مسعود رفعه فى قوله : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ قال : « لو أن رجلا هَم فيه بإلحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عذابًا أليمًا » (١). قال ابن كثير : هذا الإسناد صحيح على شرط البخارى، ووقفه أشبه من رفعه ، ولهذا صمم شعبة على وقفه . وأخرج سعيد بن منصور والطبرانى عن ابن مسعود فى الآية قال : من همّ بخطيئة فلم يعملها فى سوى البيت ، لم تكتب عليه حتى يعملها ، ومن هم بخطيئة فى البيت ؛ لم يمته الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب أليم . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أنيس : أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين، أحدهما مهاجرى والآخر من الأنصار، فافتخروا فى الأنساب ، فغضب عبد الله ابن أنيس ، فقتل الأنصارى ، ثم ارتدّ عن الإسلام وهرب إلى مكة، فنزلت فيه : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ يعنى : من لجأ إلى الحرم بإلحاد ، يعنى بميل عن الإسلام . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ قال : بشرك . وأخرج عبد بن حميد ، والبخارى فى تاريخه ، وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن يعلى بن أمية عن رسول الله ﷺ قال : « احتكار الطعام فى الحرم إلحاد فيه » . وأخرج سعيد بن منصور ، والبخارى فى تاريخه ، وابن المنذر عن عمر بن الخطاب قال : احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن ابن عمر قال : بيع الطعام بمكة إلحاد. وأخرج البيهقى فى الشعب عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « احتكار الطعام بمكة إلحاد» (٢) .

وأخرج ابن جرير ، والحاكم وصححه عن علىّ قال : لما أمر إبراهيم ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى على رابية فى موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس ، فكلمه فقال : يا إبراهيم ، ابْنِ على ظلى أو على قدرى ولا تزد ولا تنقص ، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر ، وذلك حين يقول الله: ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت**﴾ الآية . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عطاء ﴿**والقائمين** ﴾ قال : المصلين عنده . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة معناه . وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى السنن عن ابن عباس قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال : ربّ ، قد فرغت ، فقال : ﴿**أذن فى الناس بالحج** ﴾ قال : ربّ ، وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلىّ البلاغ ، قال : ربّ،

---

(١) أحمد ١/ ٤٢٨ وأبو يعلى (٥٣٨٤) وابن جرير ١٧/ ١٠٤ والطبرانى (٩٠٧٨) وصححه الحاكم ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨ على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٧٣ : « رواه الطبرانى وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك » وأورد ابن كثير رواية ابن أبى حاتم ٤/ ٦٣٠ ثم ذكره ثم قال : « ورواه أحمد عن يزيد ابن هارون به ؛ قلت : هذا الإسناد صحيح على شرط البخارى » .

(٢) البيهقى فى الشعب (١١٢٢١) .ط . الكتب العلمية .

كيف أقول ؟ قال : قل : يأيها الناس ، كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق . فسمعه من فى السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيؤون من أقصى الأرض يلبون . وفى الباب آثار عن جماعة من الصحابة .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ قال: أسواقًا كانت لهم ، ما ذكر اللّه منافع إلا الدنيا . وأخرج ابن أبى حاتم عنه قال : منافع فى الدنيا ومنافع فى الآخرة ، فأما منافع الآخرة فرضوان اللّه ، وأما منافع الدنيا فمما يصيبون من لحوم البدن فى ذلك اليوم والذبائح والتجارات . وأخرج أبو بكر المروزى فى كتاب العيدين عنه أيضًا قال : الأيام المعلومات : أيام العشر . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا قال : الأيام المعلومات : يوم النحر وثلاثة أيام بعده . وأخرج ابن جرير عنه أيضًا قال : أيام التشريق . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضًا فى الأيام المعلومات قال : قبل يوم التروية بيوم ، ويوم التروية ويوم عرفة . وأخرج ابن جرير عنه أيضًا قال : البائس : الزمن .

وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عمر قال : التفث : المناسك كلها . وأخرج هؤلاء عن ابن عباس نحوه . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : التفث حلق الرأس والأخذ من العارضين ونتف الإبط وحلق العانة والوقوف بعرفة والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار وقصّ الأظفار وقصّ الشارب والذبح . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه : ﴿ **وليطوفوا بالبيت العتيق** ﴾ هو طواف الزيارة يوم النحر ، وورد فى وجه تسمية البيت بالعتيق آثار عن جماعة من الصحابة ، وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا . وورد فى فضل الطواف أحاديث ليس هذا موضع ذكرها .

﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)** ﴾ .

محل ﴿ **ذلك** ﴾ الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى الأمر ذلك ، أو مبتدأ خبره

محذوف ، أو فى محل نصب بفعل محذوف ، أى افعلوا ذلك . والمشار إليه هو ما سبق من أعمال الحجّ ، وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين طرفى كلام واحد . والحرمات جمع حرمة . قال الزجاج : الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه ، وهى فى هذه الآية ما نهى عنها، ومنع من الوقوع فيها . والظاهر من الآية عموم كل حرمة فى الحجّ وغيره كما يفيده اللفظ وإن كان السبب خاصا ، وتعظيمها ترك ملابستها ﴿ **فهو خير له** ﴾ أى فالتعظيم خير له ﴿**عند ربه** ﴾ يعنى فى الآخرة من التهاون بشىء منها . وقيل إن صيغة التفضيل هنا لا يراد بها معناه الحقيقى ، بل المراد أن ذلك التعظيم خير ينتفع به ، فهى عدة بخير ﴿ **وأحلت لكم الأنعام**﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ أى فى الكتاب العزيز من المحرّمات ، وهى الميتة وما ذكر معها فى سورة المائدة . وقيل : فى قوله : ﴿ إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ﴾ [المائدة : ١] .

﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ الرجس : القذر ، والوثن : التمثال ، وأصله من وثن الشىء ، أى أقام فى مقامه، وسمى الصليب وثنًا ؛ لأنه ينصب ويركز فى مقامه، فلا يبرح عنه. والمراد : اجتناب عبادة الأوثان ، وسماها رجسًا ؛ لأنها سبب الرجس وهو العذاب . وقيل : جعلها سبحانه رجسًا حكمًا ، والرجس : النجس وليست النجاسة وصفًا ذاتيًا لها ولكنها وصف شرعى ، فلا تزول إلا بالإيمان كما أنها لا تزول النجاسة الحسية إلا بالماء . قال الزجاج : « من » هنا لتخليص جنس من أجناس ، أى فاجتنبوا الرجس الذى هو وثن ﴿**واجتنبوا قول الزور** ﴾ الذى هو الباطل ، وسمى زورًا ؛ لأنه مائل عن الحق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تزاور عن كهفهم﴾ [الكهف : ١٧] . وقولهم : مدينة زوراء ، أى مائلة ، والمراد هنا قول الزور على العموم ، وأعظمه الشرك بالله بأى لفظ كان . وقال الزجاج المراد بقول الزور ها هنا : تحليلهم بعض الأنعام وتحريمهم بعضها ، وقولهم : ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ [النحل: ١١٦] . وقيل : المراد به : شهادة الزور .

وانتصاب ﴿ **حنفاء** ﴾ على الحال ، أى مستقيمين على الحق ، أو مائلين إلى الحق . ولفظ حنفاء من الأضداد يقع على الاستقامة ، ويقع على الميل . وقيل : معناه : حجاجًا ، ولا وجه لهذا . ﴿ **غير مشركين به** ﴾ هو حال كالأول ، أى غير مشركين به شيئًا من الأشياء كما يفيده الحذف من العموم ، وجملة : ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء** ﴾ مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الأمر بالاجتناب . ومعنى خرّ من السماء : سقط إلى الأرض ، أى انحط من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر ﴿ **فتخطفه الطير** ﴾ يقال : خطفه : إذا سلبه ، ومنه قوله : ﴿ يخطف أبصارهم ﴾ [البقرة : ٢٠] . أى تخطف لحمه وتقطعه بمخالبها . قرأ أبو جعفر ونافع بتشديد الطاء وفتح الخاء ، وقرئ بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما ﴿ **أو تهوى به الريح** ﴾ أى تقذفه وترمى به ﴿ **فى مكان سحيق** ﴾ أى بعيد ، يقال : سحق يسحق سحقًا فهو سحيق : إذا بعد . قال الزجاج : أعلم الله أن بعد من أشرك به من الحقّ ، كبعد ما خرّ من السماء ،

فتذهب به الطير أو هوت به الريح فى مكان بعيد.

﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله** ﴾ الكلام فى هذه الإشارة قد تقدّم قريبًا ، والشعائر : جمع الشعيرة ، وهى كل شىء فيه للّه تعالى شعار ، ومنه شعار القوم فى الحرب ، وهو علامتهم التى يتعارفون بها ، ومنه إشعار البدن ، وهو الطعن فى جانبها الأيمن ، فشعائر اللّه : أعلام دينه ، وتدخل الهدايا فى الحجّ دخولا أوليا ، والضمير فى قوله : ﴿ **فإنها من تقوى القلوب** ﴾ راجع إلى الشعائر بتقدير مضاف محذوف ، أى فإن تعظيمها من تقوى القلوب ، أى من أفعال القلوب التى هى من التقوى ، فإن هذا التعظيم ناشئ من التقوى . ﴿ **لكم فيها منافع** ﴾ أى فى الشعائر على العموم ، أو على الخصوص ، وهى البدن كما يدل عليه السياق . ومن منافعها : الركوب والدّر والنسل والصوف وغير ذلك ﴿ **إلى أجل مسمى** ﴾ وهو وقت نحرها ﴿ **ثم محلها إلى البيت العتيق** ﴾ أى حيث يحلّ نحرها ،والمعنى: أنها تنتهى إلى البيت وما يليه من الحرم ، فمنافعهم الدنيوية المستفادة منها مستمرة إلى وقت نحرها ، ثم تكون منافعها بعد ذلك دينية. وقيل : إن محلها ها هنا مأخوذ من إحلال الحرام ، والمعنى : أن شعائر الحجّ كلها من الوقوف بعرفه ورمى الجمار والسعى تنتهى إلى طواف الإفاضة بالبيت ، فالبيت على هذا مراد بنفسه .

﴿ **ولكل أمة جعلنا منسكا** ﴾ المنسك ها هنا المصدر من نسك ينسك : إذا ذبح القربان ، والذبيحة : نسيكة ، وجمعها نسك . وقال الأزهرى : إن المراد بالمنسك فى الآية : موضع النحر ، ويقال : منسك بكسر السين وفتحها لغتان ، قرأ بالكسر الكوفيون إلا عاصما وقرأ الباقون بالفتح . وقال الفرّاء : المنسك فى كلام العرب : الموضع المعتاد فى خير أو شرّ ، وقال ابن عرفة : ﴿ **ولكل أمة جعلنا منسكا** ﴾ أى مذهبًا من طاعة اللّه . وروى عن الفراء أن المنسك : العيد . وقيل : الحجّ، والأوّل أولى لقوله : ﴿ **ليذكروا اسم الله** ﴾ إلى آخره ، والأمة : الجماعة المجتمعة على مذهب واحد ، والمعنى: وجعلنا لكل أهل دين من الأديان ذبحًا يذبحونه، ودما يريقونه ، أو متعبدًا أو طاعة أوعيدا أو حجا يحجونه ، ليذكروا اسم اللّه وحده ، ويجعلوا نسكهم خاصًا به ﴿ **على مارزقهم من بهيمة الأنعام** ﴾ أى على ذبح ما رزقهم منها . وفيه إشارة إلى أن القربان لا يكون إلا من الأنعام دون غيرها . وفى الآية دليل على أن المقصود من الذبح المذكور هو ذكر اسم اللّه عليه . ثم أخبرهم سبحانه بتفرّده بالإلهية وأنه لا شريك له ، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، ثم أمرهم بالإسلام له ، والانقياد لطاعته وعبادته ، وتقديم الجار والمجرور على الفعل للقصر ، والفاء هنا كالفاء التى قبلها ، ثم أمر رسوله ﷺ بأن يبشر ﴿ **المخبتين** ﴾ من عباده ، أى المتواضعين الخاشعين المخلصين ، وهو مأخوذ من الخبت، وهو المنخفض من الأرض، والمعنى : بشرهم يا محمد بما أعدّ اللّه لهم من جزيل ثوابه وجليل عطائه. وقيل : إن المخبتين هم الذين لا يظلمون غيرهم ، وإذا ظلمهم غيرهم لم ينتصروا.

ثم وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله: ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ أى خافت وحذرت مخالفته ، وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه دليل على كمال يقينهم وقوّة

إيمانهم ، ووصفهم بالصبر ﴿ **على ما أصابهم** ﴾ من البلايا والمحن فى طاعة الله ثم وصفهم بإقامة ﴿ **الصلاة** ﴾ أى الإتيان بها فى أوقاتها على وجه الكمال . قرأ الجمهور : ﴿**والمقيمى الصلاة**﴾ بالجرّ على ما هو الظاهر ، وقرأ أبو عَمْرو بالنصب على توهم بقاء النون ، وأنشد سيبويه على ذلك قول الشاعر :

الحافظو عورة العشيرة

البيت . بنصب عورة . وقيل : لم يقرأ بهذه القراءة أبو عمرو ، وقرأ ابن محيصن : «والمقيمين » بإثبات النون على الأصل ، ورويت هذه القراءة عن ابن مسعود ، ثم وصفهم سبحانه بقوله : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ أى يتصدقون به وينفقونه فى وجوه البرّ ، ويضعونه فى مواضع الخير ، ومثل هذه الآية قوله سبحانه : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقد أخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله: ﴿ **حرمات الله** ﴾ قال: الحرمة مكة والحجّ والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ يقول : اجتنبوا طاعة الشيطان فى عبادة الأوثان ﴿ **واجتنبوا قول الزور** ﴾ يعنى : الافتراء على الله والتكذيب به. وأخرج أحمد والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أيمن بن خريم قال : قام رسول الله ﷺ خطيبًا فقال:« يأيها الناس ، عدلت شهادة الزور إشراكًا بالله » ثلاثًا، ثم قرأ : ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**﴾ (١) ، قال الترمذى (٢) : غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد . وقد اختلف عنه فى رواية هذا الحديث ، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعًا من النبى ﷺ . وقد أخرجه أحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه ،والبيهقى فى الشعب من حديث خريم (٣). وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى بكرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ثلاثًا ، قلنا : بلى يارسول الله ، قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » ، وكان متكئًا ، فجلس فقال : « ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور » ، فما زال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت (٤) .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **حنفاء لله غير مشركين به** ﴾

---

(١) أحمد ٤/ ١٧٨ ، ٢٣٣ والترمذى فى الشهادات (٢٢٩٩) وابن جرير ١٧/ ١١٢ وفى المطبوعة : « أيمن بن حريم » بالمهملة والصحيح خريم بالمعجمة كما فى مراجع التخريج والمخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « أحمد » وهو خطأ .

(٣) أحمد ٤/ ٣٢١ وأبو داود فى الأقضية (٣٥٩٩) وابن ماجة فى الأحكام (٢٣٧٢) وابن جرير ١٧/ ١١٢ والطبرانى (٤١٦٢) والبيهقى فى الشعب (٤٥١٩) .

(٤) البخارى فى الشهادات (٢٦٥٤) ومسلم فى الإيمان (٨٧/ ١٤٣) وأحمد ٥/ ٣٨.

قال : حجاجا للّه غير مشركين به ، وذلك أن الجاهلية كانوا يحجون مشركين ، فلما أظهر اللّه الإسلام، قال اللّه للمسلمين: حجوا الآن غير مشركين باللّه . وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى بكر الصدّيق نحوه . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **ومن يعظم شعائر الله** ﴾ قال : البدن . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿**ومن يعظم شعائر الله**﴾ قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام ، وفى قوله : ﴿ **لكم فيها منافع إلى أجل مسمى** ﴾ قال: إلى أن تسمى بدنًا. وأخرج هؤلاء عن مجاهد نحوه ، وفيه قال : ولكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، فى ظهورها وألبانها وأوبارها وأشعارها وأصوافها إلى أن تسمى هديًا، فإذا سميت هديًا ذهبت المنافع ﴿ **ثم محلها** ﴾ يقول: حين تسمى ﴿ **إلى البيت العتيق** ﴾.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال : إذا دخلت الحرم فقد بلغت محلها . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ولكل أمة جعلنا منسكا** ﴾ قال : عيدًا . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد فى الآية قال : إهراق الدماء . وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : ذبحًا . وأخرج ابن أبى حاتم عن زيد بن أسلم فى الآية قال : مكة لم يجعل اللّه لأمة قط منسكًا غيرها . وقد وردت أحاديث فى الأضحية ليس هذا موضع ذكرها .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله : ﴿**وبشر المخبتين** ﴾ قال : المطمئنين . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد بن حميد ، وابن أبى الدنيا فى ذمّ الغضب ، وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن عمرو بن أوس قال : المخبتون فى الآية الذين لا يظلمون الناس ، وإذا ظلموا لم ينتصروا .

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) ﴾.

قرأ ابن أبى إسحاق: « والبدن » بضم الباء والدال، وقرأ الباقون بإسكان الدال وهما لغتان، وهذا الاسم خاص بالإبل . وسميت بدنة ؛ لأنها تبدن ، والبدانة : السمن . وقال أبوحنيفة ومالك : إنه يطلق على غير الإبل ، والأوّل أولى لما سيأتى من الأوصاف التى هى ظاهرة فى الإبل ، ولما تفيده كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالإبل . وقال ابن كثير فى تفسيره : واختلفوا فى صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين : أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعًا كما صح فى الحديث ﴿**جعلناها لكم**﴾ وهى ما تقدّم بيانه قريبًا ﴿ **لكم فيها خير** ﴾ أى منافع دينية

ودنيوية كما تقدّم ﴿ **فاذكروا اسم الله عليها** ﴾ أى على نحرها ومعنى ﴿**صواف**﴾ أنها قائمة قد صفت قوائمها ، لأنها تنحر قائمة معقولة. وأصل هذا الوصف فى الخيل ، يقال : صفن الفرس فهو صافن : إذا قام على ثلاث قوائم وثنى الرابعة . وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعرى : « صوافى » أى خوالص لله لا تشركون به فى التسمية على نحرها أحدًا ، وواحد صوافّ صافة، وهى قراءة الجمهور . وواحد صوافى صافية ، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر محمد بن على : «صوافن » بالنون جمع صافنة . والصافنة هى التى قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ الصافنات الجياد ﴾ [ص : ٣١] ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

تركنا الخيـل عاكفـة عليـه مقلدة أعنتـها صـفـونا

وقال الآخر :

ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

﴿ **فإذا وجبت جنوبها** ﴾ الوجوب : السقوط ، أى فإذا سقطت بعد نحرها ، وذلك عند خروج روحها ﴿ **فكلوا منها** ﴾ ذهب الجمهور أن هذا الأمر للندب ﴿ **وأطعموا القانع والمعتر** ﴾ هذا الأمر قيل : هو للندب كالأوّل ، وبه قال مجاهد والنخعى وابن جرير وابن سريج . وقال الشافعى وجماعة : هو للوجوب .

واختلف فى القانع من هو ؟ فقيل : هو السائل ، يقال : قنع الرجل بفتح النون يقنع بكسرها إذا سأل ، ومنه قول الشماخ :

لمـال المرء يصلـحه فيغـنى مفاقره ؛ أعفّ من القنوع

أى السؤال ، وقيل : هو المتعفف عن السؤال المستغنى ببلغة ، ذكر معناه الخليل . قال ابن السكيت: من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة، وهى الرضا والتعفف وترك المسألة . وبالأوّل قال زيد بن أسلم وابنه وسعيد بن جبير والحسن ، وروى عن ابن عباس . وبالثانى قال عكرمة وقتادة . وأما المعترّ ، فقال محمد بن كعب القرظى ومجاهد وإبراهيم والكلبى والحسن: أنه الذى يتعرّض من غير سؤال . وقيل : هو الذى يعتريك ويسألك . وقال مالك : أحسن ما سمعت أن القانع: الفقير، والمعترّ : الزائر . وروى عن ابن عباس : أن كليهما الذى لا يسأل، ولكن القانع الذى يرضى بما عنده ولا يسأل، والمعترّ الذى يتعرّض لك ولا يسألك. وقرأ الحسن: « والمعترى » ومعناه كمعنى المعترّ ومنه قول زهير :

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

يقال : اعترّه واعتراه وعرّه وعراه : إذا تعرّض لما عنده أو طلبه ، ذكره النحاس ﴿ **كذلك سخرناها لكم** ﴾ أى مثل ذلك التسخير البديع سخرناها لكم ، فصارت تنقاد لكم إلى مواضع

نحرها فتنحرونها ، وتنتفعون بها بعد أن كانت مسخرة للحمل عليها والركوب على ظهرها والحلب لها ونحو ذلك ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ هذه النعمة التى أنعم الله بها عليكم .

﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها** ﴾ أى لن يصعد إليه ولا يبلغ رضاه ولا يقع موقع القبول منه لحوم هذه الإبل التى تتصدّقون بها ولا دماؤها التى تنصب عند نحرها من حيث إنها لحوم ودماء ﴿ **ولكن يناله** ﴾ أى يبلغ إليه تقوى قلوبكم ، ويصل إليه إخلاصكم له وإرادتكم بذلك وجهه ، فإن ذلك هو الذى يقبله الله ويجازى عليه. وقيل : المراد : أصحاب اللحوم والدماء ، أى لن يرضى المضحون والمتقرّبون إلى ربهم باللحوم والدماء ، ولكن بالتقوى . قال الزجاج : أعلم الله أن الذى يصل إليه تقواه وطاعته فيما يأمر به ، وحقيقة معنى هذا الكلام تعود إلى القبول ، وذلك أن ما يقبله الإنسان يقال : قد ناله ووصل إليه ، فخاطب الله الخلق كعادته فى مخاطبتهم ﴿ **كذلك سخرها لكم** ﴾ كرّر هذا للتذكير ، ومعنى ﴿ **لتكبروا الله على ما هداكم** ﴾ هو قول الناحر : الله أكبر عند النحر ، فذكر في الآية الأولى الأمر بذكر اسم الله عليها . وذكر هنا التكبير للدلالة على مشروعية الجمع بين التسمية والتكبير . وقيل : المراد بالتكبير : وصفه سبحانه بما يدّل على الكبرياء ، ومعنى ﴿ **على ما هداكم** ﴾ : على ما أرشدكم إليه من علمكم بكيفية التقرّب بها ، « وما » مصدرية ، أو موصولة ﴿ **وبشر المحسنين** ﴾ قيل : المراد بهم : المخلصون . وقيل : الموحدون . والظاهر أن المراد بهم : كل من يصدر منه من الخير ما يصح به إطلاق اسم المحسن عليه .

وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عبد الله بن عمر قال : لا نعلم البدن إلا من الإبل والبقر . وأخرج ابن أبى حاتم عنه قال : البدن : ذات الخف . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن أبى حاتم عن مجاهد قال : ليس البدن إلا من الإبل . وأخرجوا عن الحكم نحوه . وأخرجوا عن عطاء نحو ما قال ابن عمر . وأخرج ابن أبى شيبة عن سعيد بن المسيب نحوه . وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن نحوه أيضًا . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد عن يعقوب الرياحى عن أبيه قال : أوصى إلىّ رجل ، وأوصى ببدنة ، فأتيت ابن عباس فقلت له : إن رجلاً أوصى إلى وأوصى ببدنة، فهل تجزئ عنى بقرة ؟ قال : نعم ، ثم قال : ممن صاحبكم ؟ فقلت : من بنى رياح ، فقال : ومتى اقتنى بنو رياح البقر إلى الإبل ؟ وهم صاحبكم ، إنما البقر لأسد وعبد القيس . وأخرج عبد بن حميد ، وابن أبى الدنيا فى الأضاحى ، وابن المنذر وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى سننه عن أبى ظبيان قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ **فاذكروا اسم الله عليها صواف** ﴾ قال : إذا أردت أن تنحر البدنة فأقمها على ثلاث قوائم معقولة ، ثم قل : بسم الله والله أكبر . وأخرج الفريابى وأبو عبيد وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس فى قوله : ﴿**صواف** ﴾ قال : قيامًا معقولة ، وفى الصحيحين وغيرهما عنه أنه رأى رجلاً قد أناخ بدنته وهو

ينحرها ، فقال : ابعثها قيامًا مقيدة سنة محمد ﷺ . وأخرج أبو عبيدة وعبد بن حميد وابن المنذر عن ميمون بن مهران قال : فى قراءة ابن مسعود : « صوافن » يعنى : قيامًا .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿**فإذا وجبت**﴾ قال : سقطت على جنبها . وأخرج ابن أبى حاتم عنه قال : نحرت . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا قال : ﴿**القانع**﴾ : المتعفف ﴿ **والمعتر** ﴾ : السائل . وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن عمر قال : القانع الذى يقنع بما آتيته . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : القانع : الذى يقنع بما أوتى ، والمعترّ : الذى يعترض . وأخرج عنه أيضًا قال : القانع الذى يجلس فى بيته . وأخرج عبد بن حميد ، والبيهقى فى سننه عنه ، أنه سئل عن هذه الآية ، فقال : أما القانع : فالقانع بما أرسلت إليه فى بيته ، والمعترّ : الذى يعتريك . وأخرج ابن المنذر عنه أيضًا قال : القانع : الذى يسأل ، والمعترّ : الذى يتعرض ، ولا يسأل . وقد روى عن التابعين فى تفسير هذه الآية أقوال مختلفة ، والمرجع المعنى اللغوى ، لا سيما مع الاختلاف بين الصحابة ومن بعدهم فى تفسير ذلك . وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال : كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينضحون بها الكعبة ، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك ، فأنزل الله : ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها** ﴾ . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن جريج نحوه .

﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(٤١)** ﴾ .

قرأ أبو عمرو وابن كثير : « يدفع » وقرأ الباقون : ﴿ **يدافع** ﴾ وصيغة المفاعلة هنا مجرّدة عن معناها الأصلى ، وهو وقوع الفعل من الجانبين كما تدلّ عليه القراءة الأخرى . وقد ترد هذه الصيغة ولا يراد بها معناها الأصلى كثيرًا مثل : عاقبت اللصّ ونحو ذلك ، وقد قدمنا تحقيقه . وقيل : إن إيراد هذه الصيغة هنا للمبالغة . وقيل للدلالة على تكرر الواقع . والمعنى : يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين . وقيل : يعلى حجتهم . وقيل : يوفقهم . والجملة مستأنفة لبيان هذه المزية الحاصلة للمؤمنين من ربّ العالمين ، وأنه المتولى للمدافعة عنهم ، وجملة : ﴿ **إن الله لا يحب كل خوان كفور** ﴾ مقررة لمضمون الجملة الأولى ، فإن المدافعة من الله لهم عن عباده المؤمنين مشعرة أتمّ إشعار بأنهم مبغضون إلى الله غير محبوبين له . قال الزجاج : من ذكر غير اسم الله وتقرّب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوّان كفور ، وإيراد صيغتى المبالغة للدلالة على

أنهم كذلك فى الواقع لا لإخراج من خان دون خيانتهم ، أو كفر دون كفرهم .

﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** ﴾ قرئ : « أذن » مبنيا للفاعل ومبنيًا للمفعول وكذلك «يقاتلون » ، قرئ مبنيًا للفاعل ومبنيا للمفعول ، وعلى كلا القراءتين فالإذن من الله سبحانه لعباده المؤمنين بأنهم إذا صلحوا للقتال ، أو قاتلهم المشركون قاتلوهم . قال المفسرون : كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بألسنتهم وأيديهم ، فيشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فيقول لهم : « اصبروا فإنى لم أومر بالقتال ، حتى هاجر » فأنزل الله سبحانه هذه الآية بالمدينة[1] ، وهى أول آية نزلت فى القتال . وهذه الآية مقررّة أيضًا لمضمون قوله : ﴿ **إن الله يدافع** ﴾ فإن إباحة القتال لهم هى من جملة دفع الله عنهم ، والباء فى : ﴿ **بأنهم ظلموا** ﴾ للسببية ، أى بسبب أنهم ظلموا بما كان يقع عليهم من المشركين من سب وضرب وطرد . ثم وعدهم سبحانه النصر على المشركين ، فقال : ﴿ **وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ وفيه تأكيد لما مرّ من المدافعة أيضًا .

ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله : ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق** ﴾ ويجوز أن يكون بدلا من الذين يقاتلون ، أو فى محل نصب على المدح ، أو محل رفع بإضمار مبتدأ ، والمراد بالديار : مكة ﴿ **إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ قال سيبويه : هو استثناء منقطع ، أى لكن لقولهم : ربنا الله أى أخرجوا بغير حق يوجب إخراجهم لكن لقولهم : ربنا الله . وقال الفراء والزجاج : هو استثناء متصل ، والتقدير : الذين أخرجوا من ديارهم بلا حق إلا بأن يقولوا : ربنا الله ، فيكون مثل قوله سبحانه : ﴿ هل تنقمون [2] منا إلا أن آمنا بالله ﴾ [المائدة : ٥٩]. وقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

﴿ **ولولا دفع الله الناس** ﴾ قرأ نافع : « ولولا دفاع » وقرأ الباقون : ﴿ **ولولا دفع** ﴾ والمعنى : لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك ، وذهبت مواضع العبادة من الأرض ، ومعنى ﴿ **لهدمت** ﴾ : لخربت باستيلاء أهل الشرك على أهل الملل . فالصوامع : هى صوامع الرهبان . وقيل : صوامع الصابئين . والبيع : جمع بيعة ، وهى كنيسة النصارى ، والصلوات : هى كنائس اليهود ، واسمها بالعبرانية صلوثا بالمثلثة فعربت ، والمساجد هى مساجد المسلمين . وقيل : المعنى : لولا هذا الدفع لهدّمت فى زمن موسى الكنائس ، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفى زمن محمد المساجد . قال ابن عطية : هذا أصوب ما قيل فى تأويل الآية . وقيل : المعنى : ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة . وقيل : لولا دفع الله العذاب بدعاء الأخيار . وقيل غير ذلك . والصوامع : جمع صومعة ، وهى بناء مرتفع ، يقال : صمع

---

(١) القرطبى بمعناه ٧/ ٤٤٦٠ .

(٢) فى المخطوطة : « وما تنقمون » ، وقد سقط من المطبوعة لفظ الجلالة .

الثريدة: إذا رفع رأسها ، ورجل أصمع القلب ، أى حاد الفطنة ، والأصمع من الرجال: الحديد القول . وقيل : الصغير الأذن. ثم استعمل فى المواضع التى يؤذن عليها فى الإسلام ، وقد ذكر ابن عطية فى ﴿**صلوات**﴾ تسع قراءات، ووجه تقديم مواضع عبادات أهل الملل على موضع عبادة المسلمين كونها أقدم بناء وأسبق وجودًا. والظاهر من الهدم المذكور معناه الحقيقى كما ذكره الزجاج وغيره . وقيل : المراد به المعنى المجازى ، وهو تعطلها من العبادة ، وقرئ : ﴿ **لهدمت** ﴾ بالتشديد، وانتصاب ﴿**كثيرا**﴾ فى قوله : ﴿ **يذكر فيها اسم الله كثيرا** ﴾ على أنه صفة لمصدر محذوف، أى ذكرًا كثيرًا، أو وقتا كثيرًا، والجملة صفة للمساجد. وقيل: لجميع المذكورات.

﴿ **ولينصرن الله من ينصره** ﴾ اللام هى جواب لقسم محذوف ، أى والله لينصر الله من ينصره، والمراد بمن ينصر الله: من ينصر دينه وأولياءه . والقوىّ : القادر على الشىء ، والعزيز: الجليل الشريف قاله الزجاج . وقيل : الممتنع الذى لا يرام ولا يدافع ولا يمانع ، والموصول فى قوله : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض** ﴾ فى موضع نصب صفة لمن فى قوله : ﴿**من ينصره** ﴾ قاله الزجاج . وقال غيره : هو فى موضع جرّ صفة لقوله : ﴿ **للذين يقاتلون**﴾. وقيل : المراد بهم : المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان . وقيل : أهل الصلوات الخمس . وقيل: ولاة العدل . وقيل غير ذلك ، وفيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على من مكنه الله فى الأرض وأقدره على القيام بذلك ، وقد تقدّم تفسير الآية ، ومعنى ﴿ **ولله عاقبة الأمور** ﴾ : أن مرجعها إلى حكمه وتدبيره دون غيره .

وقد أخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وحسنه ، والنسائى وابن ماجة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال: لما أخرج النبىّ ﷺ من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا للّه وإنا إليه راجعون ، ليهلكن القوم ، فنزلت : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** ﴾ الآية [1] . قال ابن عباس : وهى أوّل آية نزلت فى القتال . قال الترمذى : حسن ، وقد رواه غير واحد عن الثورى ، وليس فيه ابن عباس . انتهى . وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم** ﴾ أى من مكة إلى المدينة بغير حق ، يعنى محمدًا ﷺ وأصحابه . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان قال : فينا نزلت هذه الآية : ﴿**الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق** ﴾ والآية بعدها ، أخرجنا من ديارنا بغير حق ، ثم مكنا فى الأرض فأقمنا [2] الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فهى لى ولأصحابى .

---

(١) أحمد ١/ ٢١٦ والترمذى فى التفسير (١٣٧١) وقال : « هذا حديث حسن » والنسائى فى التفسير (٣٦٥) وإسناده صحيح ، وابن جرير ٧/ ١٢٣ وابن حبان (٤٦٩٠) والطبرانى (١٢٣٣٦) وصححه الحاكم ٢/ ٦٦ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٧٩ .

(٢) فى المخطوطة : « ثم مكناهم فى أرض أقمنا الصلاة » ، والصحيح ما أثبتناه حتى يستقيم المعنى .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن علىّ بن أبى طالب قال : إنما أنزلت هذه الآية فى أصحاب محمد : ﴿ **ولولا دفع الله الناس** ﴾ الآية . قال : لولا دفع الله بأصحاب محمد عن التابعين لهدّمت صوامع . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **لهدمت صوامع** ﴾ الآية قال: الصوامع : التى تكون فيها الرهبان ، والبيع : مساجد اليهود ، وصلوات : كنائس النصارى ، والمساجد : مساجد المسلمين. وأخرجا عنه قال: البيع: بيع النصارى ، وصلوات : كنائس اليهود . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن زيد بن أسلم فى قوله : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض** ﴾ قال : أرض المدينة ﴿ **أقاموا الصلاة** ﴾ قال : المكتوبة ﴿ **وآتوا الزكاة** ﴾ قال: المفروضة ﴿ **وأمروا بالمعروف** ﴾ قال : بلا إله إلا الله ﴿ **ونهوا عن المنكر** ﴾ قال: عن الشرك بالله ﴿ **ولله عاقبة الأمور** ﴾ قال : وعند الله ثواب ما صنعوا .

﴿ **وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)** ﴾ .

قوله : ﴿ **وإن يكذبوك** ﴾ إلخ هذه تسلية لرسول الله ﷺ وتعزية له متضمنة للوعد له بإهلاك المكذبين له كما أهلك سبحانه المكذبين لمن كان قبله . وفيه إرشاد له ﷺ إلى الصبر على قومه والاقتداء بمن قبله من الأنبياء فى ذلك ، وقد تقدم ذكر هذه الأمم وما كان منهم ومن أنبيائهم وكيف كانت عاقبتهم . وإنما غير النظم فى قوله : ﴿ **وكذب موسى** ﴾ فجاء بالفعل مبنيًا للمفعول ؛ لأن قوم موسى لم يكذبوه وإنما كذبه غيرهم من القبط ﴿ **فأمليت للكافرين** ﴾ أى أخرت عنهم العقوبة وأمهلتهم والفاء لترتيب الإمهال على التكذيب ﴿ **ثم أخذتهم** ﴾ أى أخذت كلّ فريق من المكذبين بالعذاب بعد انقضاء مدّة الإمهال ﴿ **فكيف كان نكير** ﴾ هذا الاستفهام

للتقرير ، أى فانظر كيف كان إنكارى عليهم وتغيير ما كانوا فيه من النعم وإهلاكهم، والنكير : اسم من المنكر . قال الزجاج : أى ثم أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار . قال الجوهرى : النكير والإنكار : تغيير المنكر .

ثم ذكر سبحانه كيف عذّب أهل القرى المكذبة فقال : ﴿ **فكأين من قرية أهلكناها** ﴾ أى أهلكنا أهلها ، وقد تقدّم الكلام على هذا التركيب فى آل عمران ، وقرئ : « أهلكتها » ، وجملة : ﴿ **وهى ظالمة** ﴾ حالية ، وجملة : ﴿ **فهى خاوية** ﴾ عطف على ﴿ **أهلكناها** ﴾ ، لا على ﴿ **ظالمة** ﴾ لأنها حالية ، والعذاب ليس فى حال الظلم ، والمراد بنسبة الظلم إليها نسبته إلى أهلها . والخواء : بمعنى السقوط فهى ساقطة ﴿ **على عروشها** ﴾ أى على سقوفها ، وذلك بسبب تعطل سكانها حتى تهدّمت فسقطت حيطانها فوق سقوفها ، وقد تقدّم تفسير هذه الآية فى البقرة ﴿ **وبئر معطلة** ﴾ معطوف على قرية ، والمعنى: وكم من أهل قرية ، ومن أهل بئر معطلة ، هكذا قال الزجاج . وقال الفراء : إنه معطوف على عروشها . والمراد بالمعطلة : المتروكة . وقيل : الخالية عن أهلها لهلاكهم . وقيل الغائرة . وقيل : معطلة من الدلاء والأرشية . والقصر المشيد هو: المرفوع البنيان ، كذا قال قتادة والضحّاك ، يدلّ عليه قول عدّى بن زيد :

شاده مرمرًا وجلله كِـ ... ـسًا فـــللطيــر فى ذراه وكـــور

شاده : أى رفعه . وقال سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومجاهد : المراد بالمشيد : المجصص ، مأخوذ من الشيد ، وهو الجص ، ومنه قول الراجز :

لا تحسبنى وإن كنت امرأ غمرًا ... كحية الماء بين الطين والشيد

وقيل : المشيد : الحصين ، قاله الكلبىّ . قال الجوهرى : المشيد : المعمول بالشيد ، والشيد ، بالكسر : كلّ شىء طليت به الحائط من جصّ أو بلاط ، وبالفتح المصدر ، تقول : شاده يشيده جصصه ، والمشيد بالتشديد : المطوّل ، قال الكسائى : للواحد من قوله تعالى : ﴿فى بروج مشيدة ﴾ [النساء: ٧٨] والمعنى المعنىّ كم من قصر مشيد معطل مثل البئر المعطلة ومعنى التعطيل فى القصر هو : أنه معطل من أهله ، أو من آلاته ، أو نحو ذلك . قال القرطبى فى تفسيره : ويقال : إن هذه البئر والقصر بحضرموت معروفان ، فالقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى إليه بحال ، والبئر فى سفحه لا تقرّ الريح شيئًا سقط فيها إلا أخرجته ، وأصحاب القصر ملوك الحضر ، وأصحاب البئر ملوك البدو . حكى الثعلبى وغيره : أن البئر كان بعدن من اليمن فى بلد يقال لها : حضوراء ، نزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح ونجوا من العذاب ومعهم صالح فمات صالح ، فسمى المكان حضر موت ؛ لأن صالحًا لما حضره مات فبنوا حضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلاً ، ثم ذكر قصة طويلة ، وقال بعد ذلك : وأما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد بن إرم ، لم يبن فى الأرض مثله فيما ذكروا وزعموا ،

وحاله أيضًا كحال هذه البئر المذكورة فى إيحاشه بعد الأنس ، وإقفاره بعد العمران ، وإن أحدًا لا يستطيع أن يدنو منه على أميال ، لما يسمع فيه من عزيف الجنّ والأصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وبهاء الملك ، وانتظام الأهل كالسلك فبادوا وما عادوا ، فذكرهم الله سبحانه فى هذه الآية موعظة وعبرة . قال : وقيل : إنهم الذين أهلكهم بختنصر على ما تقدّم فى سورة الأنبياء فى قوله : ﴿ وكم قصمنا من قرية ﴾ [الأنبياء : ١١] . فتعطلت بئرهم وخربت قصورهم . انتهى .

ثم أنكر سبحانه على أهل مكة عدم اعتبارهم بهذه الآثار قائلا : ﴿ **أفلم يسيروا فى الأرض**﴾ حثا لهم على السفر ليروا مصارع تلك الأمم فيعتبروا ، ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا ، فلهذا أنكر عليهم ، كما فى قوله : ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون ﴾ [الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨] . ومعنى ﴿ **فتكون لهم قلوب يعقلون بها** ﴾ : أنهم بسبب ما شاهدوا من العبر تكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يتعقلوه وأسند التعقل إلى القلوب لأنها محل العقل . كما أن الآذان محل السمع . وقيل : إن العقل محله الدماغ ولا مانع من ذلك ، فإن القلب هو الذى يبعث على إدراك العقل وإن كان محله خارجًا عنه . وقد اختلف علماء المعقول فى محل العقل وماهيته اختلافًا كثيرًا لا حاجة إلى التطويل بذكره ﴿ **أو آذان يسمعون بها** ﴾ أى ما يجب أن يسمعوه مما تلاه عليهم أنبياؤهم من كلام الله ، وما نقله أهل الأخبار إليهم من أخبار الأمم المهلكة ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار** ﴾ قال الفراء : الهاء عماد يجوز أن يقال : فإنه ، وهى قراءة عبد الله بن مسعود ، والمعنى واحد ، التذكير على الخبر ، والتأنيث على الأبصار أو القصة ، أى فإن الأبصار لا تعمى ، أوفإن القصة ﴿ **لا تعمى الأبصار**﴾ أى أبصار العيون ﴿ **ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** ﴾ أى ليس الخلل فى مشاعرهم، وإنما هو فى عقولهم أى لا تدرك عقولهم مواطن الحق ومواضع الاعتبار . قال الفراء والزجاج : إن قوله: ﴿ **التى فى الصدور** ﴾ من التوكيد الذى تزيده العرب فى الكلام كقوله : ﴿عشرة كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [المائدة : ٤١] ، ﴿ يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

ثم حكى سبحانه عن هؤلاء ما كانوا عليه من التكذيب والاستهزاء فقال : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب** ﴾ لأنهم كانوا منكرين لمجيئه أشدّ إنكار ، فاستعجالهم له ، هو على طريقة الاستهزاء والسخرية ، وكأنهم كانوا يقولون ذلك عند سماعهم لما تقوله الأنبياء عن الله سبحانه من الوعد منه عزّ وجل بوقوعه عليهم وحلوله بهم ، ولهذا قال: ﴿ **ولن يخلف الله وعده** ﴾ قال الفراء : فى هذه الآية وعيد لهم بالعذاب فى الدنيا والآخرة . وذكر الزجاج وجهًا آخر فقال : اعلم أن الله لا يفوته شىء، وإن يومًا عنده وألف سنة فى قدرته واحد ، ولا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره فى القدرة ، إلا أن الله تفضل بالإمهال . انتهى . ومحل جملة : ﴿ **ولن يخلف الله وعده** ﴾ النصب على الحال ، أى والحال أنه لا يخلف وعده أبدا ، وقد سبق الوعد

فلابد من مجيئه حتما ، أو هى اعتراضية مبينة لما قبلها ، وعلى الأول تكون جملة : ﴿ **وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ مستأنفة ، وعلى الثانى تكون معطوفة على الجملة التى قبلها مسوقة لبيان حالهم فى الاستعجال ، وخطابهم فى ذلك ببيان كمال حلمه ، لكون المدة القصيرة عنده كالمدة الطويلة عندهم كما فى قوله: ﴿إنهم يرونه بعيدا . ونراه قريبا﴾ [المعارج: ٦، ٧]. قال الفراء : هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم فى الآخرة ، أى يوم من أيام عذابهم فى الآخرة كألف سنة . وقيل : المعنى : وإن يومًا من الخوف والشدّة فى الآخرة كألف سنة من سنى الدنيا فيها خوف وشدة ، وكذلك يوم النعيم قياسًا . وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى : « مما يعدون » بالتحتية ، واختار هذه القراءة أبو عبيد لقوله : ﴿ **ويستعجلونك** ﴾ وقرأ الباقون بالفوقية على الخطاب ، واختارها أبو حاتم .

﴿ **وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير** ﴾ : هذا إعلام منه سبحانه أنه أخذ قومًا بعد الإملاء والتأخير . قيل : وتكرير هذا مع ذكره قبله للتأكيد ،وليس بتكرار فى الحقيقة ؛ لأن الأول : سيق لبيان الإهلاك سناسبًا لقوله: ﴿ **فكيف كان نكير** ﴾ ولهذا عطف بالفاء بدلا عن ذلك ؛ والثانى : سيق لبيان الإملاء سناسبًا لقوله : ﴿ **ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة** ﴾ فكأنه قيل : وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أمهلتهم حينًا، ثم أخذتهم بالعذاب ، ومرجع الكل إلى حكمى . فجملة : ﴿ **وإلى المصير** ﴾ تذييل لتقرير ما قبلها . ثم أمره الله سبحانه أن يخبر الناس بأنه نذير لهم بين يدى الساعة مبين لهم ما نزل إليهم، فمن آمن وعمل صالحًا فاز بالمغفرة والرزق الكريم وهو الجنة ، ومن كان على خلاف ذلك فهو فى النار ، وهم ﴿ **الذين سعوا فى آياتنا معاجزين** ﴾ يقال : عاجزه : سابقه ، لأن كل واحد منهما فى طلب إعجاز الآخر ، فإذا سبقه قيل : أعجزه وعجزه ، قاله الأخفش . وقيل : معنى ﴿ **معاجزين** ﴾ ظانين ومقدّرين أن يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم، قاله الزجاج. وقيل: معاندين ، قاله الفرّاء .

وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة فى قوله : ﴿ **فهى خاوية على عروشها** ﴾ قال: خربة ليس فيها أحد ﴿ **وبئر معطلة** ﴾: عطلها أهلها وتركوها ﴿ **وقصر مشيد** ﴾ قال : شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ﴿ **وبئر معطلة**﴾ قال. التى تركت لا أهل لها . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه ﴿**وقصر مشيد** ﴾ قال: هو المجصص. وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد نحوه. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن عطاء نحوه . أيضًا .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿**وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ قال : من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض . وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال فى الآية : هو يوم القيامة . وأخرج ابن أبى حاتم عنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة ، فقد مضى منها ستة آلاف . وأخرج

ابن عدّى والديلمى عن أنس مرفوعًا نحوه . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ﴿ **معاجزين** ﴾ قال : مراغمين . وأخرج ابن جرير عنه أنه قال : مشاقين .

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧) ﴾ .**

قوله : ﴿ **من رسول ولا نبى** ﴾ قيل : الرسول : الذى أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عيانًا ومحاورته شفاها ، والنبىّ : الذى تكون [نبوته] (١) إلهامًا أو منامًا . وقيل : الرسول : من بعث بشرع وأمر بتبليغه ، والنبىّ : من أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله ، ولم ينزل عليه كتاب ، ولا بدّ لهما جميعًا من المعجزة الظاهرة ﴿**إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته**﴾ معنى تمنى : تشهى وهيأ فى نفسه ما يهواه . قال الواحدى : وقال المفسرون : معنى تمنى : تلا . قال جماعة المفسرين فى سبب نزول هذه الآية : أنه ﷺ لما شقّ عليه إعراض قومه عنه تمنى فى نفسه أن لا ينزل عليه شىء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم ، فكان ذات يوم جالسًا فى ناد من أنديتهم وقد نزل عليه سورة : ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾ فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى . وسناة الثالثة الأخرى ﴾ [النجم : ١٩ ، ٢٠] . وكان ذلك التمنى فى نفسه ، فجرى على لسانه مما ألقاه الشيطان عليه : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتها لترتجى . فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله ﷺ فى قراءته حتى ختم السورة ، فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى من المسلمين والمشركين ، فتفرقت قريش مسرورين بذلك وقالوا : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فأتاه جبريل فقال : ما صنعت ؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ، فحزن رسول الله ﷺ وخاف خوفًا شديدًا ، فأنزل الله هذه الآية ، هكذا قالوا (٢) .

ولم يصح شىء من هذا ، ولا ثبت بوجه من الوجوه ، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه ، قال الله : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه

---

(١) اللفظ بين المعقوفتين ساقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من القرطبى ٧/ ٤٤٧٢ ، وهو ما يستقيم به المعنى .
(٢) القرطبى ٧/ ٤٤٧٢ .

باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ [الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦] وقوله : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ [النجم : ٣] وقوله : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم ﴾ [الإسراء : ٧٤] ، فنفى المقاربة للركون فضلا عن الركون . قال البزار : هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ بإسناد متصل . وقال البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم . وقال إمام الأئمة ابن خزيمة : إن هذه القصة من وضع الزنادقة . قال القاضى عياض فى الشفاء : إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه ، لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا . قال ابن كثير : قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظنًا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح (١) .

وإذا تقرّر لك بطلان ذلك عرفت أن معنى ﴿ **تمنى** ﴾ : قرأ وتلا ، كما قدّمنا من حكاية الواحدى لذلك عن المفسرين . وكذا قال البغوى : إن أكثرالمفسرين قالوا معنى ﴿ **تمنى** ﴾ : تلا وقرأ كتاب الله ، ومعنى ﴿ **ألقى الشيطان فى أمنيته** ﴾ أى فى تلاوته وقراءته . قال ابن جرير : هذا القول أشبه بتأويل الكلام ، ويؤيد هذا ما تقدّم فى تفسير قوله : ﴿ لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ﴾ [البقرة : ٧٨] . وقيل : معنى ﴿ **تمنى** ﴾ : حدّث ، ومعنى ﴿ **ألقى الشيطان فى أمنيته** ﴾ : فى حديثه ، وروى هذا عن ابن عباس . وقيل معنى ﴿ **تمنى** ﴾ : قال . فحاصل معنى الآية : أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه ، فتكون هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ ، أى لا يهولنك ذلك ولا يحزنك ، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء،وعلى تقدير أن معنى ﴿ **تمنى** ﴾: حدّث نفسه ، كما حكاه الفرّاء والكسائى ، فإنهما قالا : تمنى إذا حدّث نفسه ، فالمعنى : أنه إذا حدّث نفسه بشيء تكلم به الشيطان وألقاه فى مسامع الناس من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه . قال ابن عطية : لا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة. وقد قيل فى تأويل الآية: إن المراد بالغرانيق : الملائكة ، ويردّ بقوله : ﴿**فينسخ الله ما يلقى الشيطان** ﴾ أى يبطله ، وشفاعة الملائكة غير باطلة . وقيل : إن ذلك جرى على لسانه ﷺ سهوًا ونسيانًا وهما مجوّزان على الأنبياء ، ويرد بأن السهو والنسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز كما هو مقرّر فى مواطنه ، ثم لما سلاه الله سبحانه بهذه التسلية وأنها قد وقعت لمن قبله من الرسل والأنبياء بين سبحانه أنه يبطل ذلك ولا يثبته ولا يستمر تغرير الشيطان به فقال: ﴿ **فينسخ الله ما يلقى الشيطان** ﴾ أى يبطله ويجعله ذاهبًا غير ثابت ﴿**ثم يحكم الله آياته**﴾ أى يثبتها ﴿**والله عليم حكيم**﴾ أى كثير العلم والحكمة فى كل أقواله وأفعاله.

---

(١) ابن كثير ٤ / ٦٥٥ .

وجملة : ﴿ **ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة** ﴾ للتعليل ، أى ذلك الإلقاء الذى يلقيه الشيطان فتنة ، أى ضلالة ﴿ **للذين فى قلوبهم مرض** ﴾ أى شكّ ونفاق ﴿ **والقاسية قلوبهم** ﴾ : هم المشركون ، فإن قلوبهم لا تلين للحق أبدًا ولا ترجع إلى الصواب بحال ، ثم سجل سبحانه على هاتين الطائفتين : وهما : من فى قلبه مرض ، ومن فى قلبه قسوة ، بأنهم ظالمون فقال : ﴿ **وإن الظالمين لفى شقاق بعيد** ﴾ أى عداوة شديدة ، ووصف الشقاق بالبعد مبالغة ، والموصوف به فى الحقيقة من قام به .

ولما بين سبحانه أن ذلك الإلقاء كان فتنة فى حقّ أهل النفاق والشكّ والشرك بين أنه فى حقّ المؤمنين العالمين بالله العارفين به سبب لحصول العلم لهم بأن القرآن حقّ وصدق فقال : ﴿**وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك** ﴾ أى الحقّ النازل من عنده . وقيل : إن الضمير فى ﴿ **أنه** ﴾ راجع إلى تمكين الشيطان من الإلقاء ، لأنه مما جرت به عادته مع أنبيائه ، ولكنه يردّ هذا قوله : ﴿ **فيؤمنوا به** ﴾ فإن المراد : الإيمان بالقرآن ، أى يثبتوا على الإيمان به ﴿**فتخبت له قلوبهم** ﴾ أى تخشع وتسكن وتنقاد ، فإن الإيمان به وإخبات القلوب له لا يمكن أن يكونا تمكين من الشيطان بل للقرآن ﴿ **وإن الله لهاد الذين آمنوا** ﴾ فى أمور دينهم ﴿ **إلى صراط مستقيم** ﴾ أى طريق صحيح لا عوج به . وقرأ أبو حيوة : « وإن الله لهادٍ الذين آمنوا » بالتنوين .

﴿ **ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه** ﴾ أى فى شكّ من القرآن . وقيل : فى الدين الذى يدل عليه ذكر الصراط المستقيم . وقيل : فى إلقاء الشيطان ، فيقولون : ما باله ذكر الأصنام بخير ثم رجع عن ذلك ؟ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى: « فى مرية » بضم الميم ﴿ **حتى تأتيهم الساعة** ﴾ أى القيامة ﴿ **بغتة** ﴾ أى فجأة ﴿ **أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** ﴾ وهو يوم القيامة ؛ لأنه لا يوم بعده ، فكان بهذا الاعتبار عقيمًا ، والعقيم فى اللغة : من لا يكون له ولد ، ولما كانت الأيام تتوالى جعل ذلك كهيئة الولادة ، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم ، وصف بالعقم . وقيل: يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر. وقيل : إن اليوم وصف بالعقم ؛ لأنه لا رأفة فيه ولا رحمة ، فكأنه عقيم من الخير ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ [الذاريات : ٤١] أى التى لا خير فيها ولا تأتى بمطر .

﴿ **الملك يومئذ لله** ﴾ أى السلطان القاهر والاستيلاء التامّ : يوم القيامة لله سبحانه وحده لا منازع له فيه ولا مدافع له عنه ، وجملة : ﴿ **يحكم بينهم** ﴾ مستأنفة جوابًا عن سؤال مقدّر ، ثم فسر هذا الحكم بقوله سبحانه : ﴿ **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم** ﴾ أى كائنون فيها مستقرّون فى أرضها منغمسون فى نعيمها ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** ﴾ أى جمعوا بين الكفر بالله والتكذيب بآياته ﴿ **فأولئك لهم عذاب مهين** ﴾ أى عذاب متصف بأنه مهين للمعذبين بالغ منهم المبلغ العظيم .

وقد أخرج عبد بن حميد وابن الأنبارى فى المصاحف ، عن عمرو بن دينار قال : كان ابن

عباس يقرأ : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبىّ ولا محدّث » . وأخرج ابن أبى حاتم عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مثله، وزاد: فنسخت محدّث، قال : والمحدّثون: صاحب يس و لقمان ، ومؤمن آل فرعون ، وصاحب موسى . وأخرج البزار والطبرانى وابن مردويه ، والضياء فى المختارة ، قال السيوطى : بسند رجاله ثقات ، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إن رسول الله ﷺ قرأ : « أفرأيتم اللات والعزّى ومنات الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهنّ لترتجى ». ففرح المشركون بذلك وقالوا : قد ذكر آلهتنا ، فجاءه جبريل فقال : اقرأ علىّ ما جئت به ، فقرأ : « أفرأيتم اللات والعزّى ومنات الثالثة الأخرى ، تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهنّ لترتجى » ، فقال : ما أتيتك بهذا ، هذا من الشيطان ، فأنزل الله: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى** ﴾ الآية [١] .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، قال السيوطى : بسند صحيح ، عن سعيد بن جبير ، قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم ، فذكر نحوه [٢] ، ولم يذكر ابن عباس . وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبى العالية والسدّى عن سعيد مرسلاً . ورواه عبد بن حميد عن السدّى عن أبى صالح مرسلاً . ورواه ابن أبى حاتم عن ابن شهاب مرسلا . وأخرج ابن جرير عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه مرسلاً أيضًا . والحاصل : أن جميع الروايات فى هذا الباب إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم الحجة بشىء منها . وقد أسلفنا عن الحفاظ فى أوّل هذا البحث ما فيه كفاية ، وفى الباب روايات من أحبّ الوقوف على جميعها فلينظرها فى الدّر المنثور للسيوطى ، ولا يأتى التطويل بذكرها هنا بفائدة ، فقد عرفناك أنها جميعها لا تقوم بها الحجة .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **حتى إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته** ﴾ يقول : إذا حدّث ألقى الشيطان فى حديثه . وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك ، قال : يعنى بالتمنى التلاوة والقراءة ، ألقى الشيطان فى أمنيته : فى تلاوته ﴿**فينسخ الله** ﴾ فينسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبىّ . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن مجاهد : ﴿ **إذا تمنى** ﴾ قال : تكلم ﴿ **فى أمنيته** ﴾ قال : كلامه. وأخرج ابن مردويه، والضياء فى المختارة عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **عذاب يوم عقيم** ﴾ قال : يوم بدر . وأخرج ابن مردويه عن أبىّ بن كعب نحوه . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير : ﴿ **عذاب يوم عقيم** ﴾ ، قال :يوم بدر . وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير وعكرمة مثله . وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى الآية قال : يوم القيامة لا ليلة له . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير مثله . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن الضحاك مثله .

---

(١) الطبرانى (١٢٤٥٠) .

(٢) ابن جرير ١٧ / ١٣٣ .

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) ﴾.

أفرد سبحانه المهاجرين بالذكر تخصيصًا لهم بمزيد الشرف ، فقال : ﴿ **والذين هاجروا فى سبيل الله** ﴾ قال بعض المفسرين : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة . وقال بعضهم : الذين هاجروا من الأوطان فى سرية أوعسكر، ولا يبعد حمل ذلك على الأمرين ، والكل من سبيل الله ﴿ **ثم قتلوا أو ماتوا** ﴾ أى فى حال المهاجرة ، واللام فى﴿ **ليرزقنهم الله رزقا حسنا** ﴾ جواب قسم محذوف ، والجملة خبر الموصول بتقدير القول ، وانتصاب ﴿**رزقا** ﴾ على أنه مفعول ثان ، أى مرزوقًا حسنًا ، أو على أنه مصدر مؤكد ، والرزق الحسن : هو نعيم الجنة الذى لا ينقطع . وقيل : هو الغنيمة لأنه حلال . وقيل : هو العلم والفهم كقول شعيب : ﴿ ورزقنى منه رزقا حسنا ﴾ [هود : ٨٨] . قرأ ابن عامر وأهل الشام : « ثم قتّلوا » بالتشديد على التكثير ، وقرأ الباقون بالتخفيف ﴿**وإن الله لهو خير الرازقين** ﴾ فإنه سبحانه يرزق بغير حساب، وكل رزق يجرى على يد العباد لبعضهم البعض ، فهو منه سبحانه ، لا رازق سواه ولا معطى غيره ، والجملة تذييل مقرّرة لما قبلها .

وجملة : ﴿ **ليدخلنهم مدخلا يرضونه** ﴾ مستأنفة ، أو بدل من جملة: ﴿ **ليرزقنهم الله** ﴾. قرأ أهل المدينة: «مدخلا » بفتح الميم ، وقرأ الباقون بضمها ، وهو اسم مكان أريد به الجنة ، وانتصابه على أنه مفعول ثان أو مصدر ميمى مؤكد للفعل المذكور ، وقد مضى الكلام على مثل هذا فى سورة سبحان . وفى هذا من الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يقادر قدره ، فإن المدخل الذى يرضونه هو الأوفق لنفوسهم والأقرب إلى مطلبهم ، على أنهم يرون فى الجنة مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وذلك هو الذى يرضونه وفوق الرضا ﴿**وإن الله لعليم** ﴾ بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم ﴿ **حليم** ﴾ عن تفريط المفرطين منهم لا يعاجلهم بالعقوبة .

والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى ما تقدّم . قال الزجاج أى الأمر ما قصصنا عليكم من إنجاز الوعد للمهاجرين خاصة إذا قتلوا أو ماتوا ، فهو على هذا خبر مبتدأ محذوف ، ومعنى ﴿**ومن عاقب بمثل ما عوقب به** ﴾: من جازى الظالم بمثل ما ظلمه . وسمى الابتداء باسم الجزاء مشاكلة كقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] . وقوله تعالى : ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] . والعقوبة فى الأصل إنما تكون بعد فعل تكون جزاء عنه . والمراد بالمثلية : أنه اقتصر على المقدار الذى ظلم به ولم يزد عليه ، ومعنى ﴿ **ثم بغى عليه** ﴾ : أن الظالم له فى الابتداء عاوده بالمظلمة بعد تلك المظلمة الأولى . قيل: المراد بهذا البغى : هو ما وقع من المشركين من إزعاج المسلمين من أوطانهم بعد أن كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به ، واللام فى ﴿ **لينصرنه الله** ﴾ جواب قسم محذوف ، أى لينصرن الله المبغىّ عليه على الباغى ﴿ **إن الله لعفو غفور** ﴾ أي كثير العفو والغفران للمؤمنين فيما وقع منهم من الذنوب . وقيل : العفو والغفران لما وقع من المؤمنين من ترجيح الانتقام على العفو. وقيل : إن معنى ﴿ **ثم بغى عليه** ﴾ أى ثم كان المجازى مبغيًا عليه، أى مظلومًا ، ومعنى ثم: تفاوت الرتبة ، لأن الابتداء بالقتال معه نوع ظلم كما قيل فى أمثال العرب : البادى أظلم . وقيل : إن هذه الآية مدنية ،وهى فى القصاص والجراحات .

والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار** ﴾ إلى ما تقدّم من نصر الله سبحانه للمبغىّ عليه ، وهو مبتدأ وخبره جملة : ﴿ **بأن الله يولج** ﴾ والباء للسببية ، أى ذلك بسبب أنه سبحانه قادر ، ومن كمال قدرته إيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل ، وعبر عن الزيادة بالإيلاج ، لأن زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر ، والمراد تحصيل أحد العرضين فى محل الآخر . وقد مضى فى آل عمران معنى هذا الإيلاج ﴿ **وأن الله سميع** ﴾ يسمع كلّ مسموع ﴿**بصير** ﴾ يبصر كلّ مبصر ، أو سميع للأقوال مبصر للأفعال ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة .

والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق** ﴾ إلى ما تقدم من اتصافه سبحانه بكمال القدرة الباهرة والعلم التام، أى هو سبحانه ذو الحق ، دينه حقّ ، وعبادته حقّ ؛ ونصره لأوليائه على أعدائه حقّ ، ووعده حقّ ، فهو عزّ وجلّ فى نفسه وأفعاله وصفاته حقّ ﴿ **وأن ما تدعون من دونه هو الباطل** ﴾ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة « تدعون » بالفوقية على الخطاب للمشركين ، واختار هذه القراءة أبو حاتم . وقرأ الباقون بالتحتية على الخبر ، واختار هذه القراءة أبو عبيد . والمعنى: إن الذين تدعونه إلهًا ، وهى الأصنام ، هو الباطل الذى لا ثبوت له ولا لكونه إلهًا ﴿ **وأن الله هو العلى** ﴾ أى العالى على كل شىء بقدرته المتقدّس على الأشباه والأنداد المتنزه عما يقول الظالمون من الصفات ﴿ **الكبير** ﴾ أى ذو الكبرياء ، وهو عبارة عن كمال ذاته وتفرّده بالإلهية .

ثم ذكر سبحانه دليلا بينًا على كمال قدرته ، فقال : ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة** ﴾ الاستفهام للتقرير ، والفاء للعطف على ﴿ **أنزل** ﴾ وارتفع الفعل بعد الفاء لكون استفهام التقرير بمنزلة الخبر كما قاله الخليل وسيبويه . قال الخليل : المعنى أنزل من السماء ماء فكان كذا وكذا ، كما قال الشاعر :

ألم تسأل الربع القواء فينطق وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق

معناه : قد سألته فنطق . قال الفراء : ﴿ **ألم تر** ﴾ خبر ، كما تقول فى الكلام : إن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ، أى ذات خضرة كما تقول مبقلة ومسبعة ، أى ذوات بقل وسباع ، وهو عبارة عن استعجالها إثر نزول الماء بالنبات واستمرارها كذلك عادة ، وصيغة الاستقبال ، لاستحضار صورة الاخضرار مع الإشعار بتجدد الإنزال واستمراره ، وهذا المعنى لا يحصل إلا بالمستقبل ، والرفع هنا متعين ؛ لأنه لو نصب لانعكس المعنى المقصود من الآية فينقلب إلى نفى الاخضرار ، والمقصود إثباته . قال ابن عطية : هذا لا يكون ، يعنى الاخضرار فى صباح ليلة المطر ، إلا بمكة وتهامة . والظاهر أن المراد بالاخضرار اخضرار الأرض فى نفسها لا باعتبار النبات فيها كما فى قوله : ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ [الحج : ٥] . والمراد بقوله : ﴿ **إن الله لطيف** ﴾ أنه يصل علمه إلى كل دقيق وجليل . وقيل : لطيف بأرزاق عباده . وقيل : لطيف باستخراج النبات، ومعنى ﴿ **خبير** ﴾ أنه ذو خبرة بتدبير عباده وما يصلح لهم . وقيل : خبير بما ينطوون عليه من القنوط عند تأخير المطر . وقيل : خبير بحاجتهم وفاقتهم .

﴿ **له ما فى السموات وما فى الأرض** ﴾ خلقًا وملكًا وتصرّفًا وكلهم محتاجون إلى رزقه ﴿**وإن الله لهو الغنى** ﴾ فلا يحتاج إلى شىء ﴿ **الحميد** ﴾ المستوجب للحمد فى كل حال . ﴿**ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض** ﴾ هذه نعمة أخرى ذكرها الله سبحانه ، فأخبر عباده بأنه سخر لهم ما يحتاجون إليه من الدواب والشجر والأنهار وجعله لمنافعهم ﴿ **والفلك** ﴾ عطف على ما ، أو على اسم أن ، أى وسخر لكم الفلك فى حال جريها فى البحر، وقرأ عبد الرحمن الأعرج: « والفلك » بالرفع على الابتداء وما بعده خبره، وقرأ الباقون بالنصب. ومعنى ﴿**تجرى فى البحر بأمره** ﴾ أى بتقديره ، والجملة فى محل نصب على الحال على قراءة الجمهور ﴿ **ويمسك السماء أن تقع على الأرض** ﴾ أى كراهة أن تقع ، وذلك بأنه خلقها على صفة مستلزمة للإمساك ، والجملة معطوفة على تجرى ﴿ **إلا بإذنه** ﴾ أى بإرادته ومشيئته ، وذلك يوم القيامة ﴿ **إن الله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾ أى كثير الرأفة والرحمة حيث سخر هذه الأمور لعباده وهيأ لهم أسباب المعاش ، وأمسك السماء أن تقع على الأرض فتهلكهم تفضلاً منه على عباده وإنعامًا عليهم .

ثم ذكر سبحانه نعمة أخرى فقال : ﴿**وهو الذى أحياكم**﴾ بعد أن كنتم جمادًا ﴿**ثم يميتكم**﴾ عند انقضاء أعماركم ﴿ **ثم يحييكم** ﴾ عند البعث للحساب والعقاب ﴿ **إن الإنسان لكفور** ﴾ أى

كثير الجحود لنعم الله عليه مع كونها ظاهرة غير مستترة ، ولا ينافى هذا خروج بعض الأفراد عن هذا الجحد ؛ لأن المراد وصف جميع الجنس بوصف من يوجد فيه ذلك من أفراده مبالغة .

وقد أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن سلمان الفارسى : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من مات مرابطًا ، أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر ، وأجرى عليه الرزق ، وأمن من الفتانين، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ **والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا** ﴾ إلى قوله : ﴿**حليم** ﴾» . وإسناد ابن أبى حاتم هكذا : حدّثنا المسيب بن واضح . حدّثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح عن عبد الكريم بن الحرث عن أبى عقبة ،يعنى أبا عبيدة بن عقبة قال : قال شرحبيل بن السمط : طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم ، فمرّ بى سلمان : يعنى الفارسى قال : سمعت رسول الله ﷺ فذكره . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن فضالة بن عبيد الأنصارى الصحابى أنه كان برودس ، فمرّوا بجنازتين أحدهما قتيل والآخر متوفى ، فمال الناس على القتيل ، فقال فضالة : ما لى أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا : هذا القتيل فى سبيل الله ، فقال : والله ما أبالى من أىّ حفرتيهما بعثت اسمعوا كتاب الله ﴿**والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا** ﴾ الآية . وإسناده عند ابن أبى حاتم هكذا : حدّثنا أبو زرعة عن زيد بن بشر أخبرنى ضمام ؛ أنه سمع أبا قبيل وربيعة ابن سيف المغافرى يقولان : كنا برودس ومعنا فضالة بن عبيد الأنصارى صاحب رسول الله ﷺ فذكره . قلت : ويؤيد هذا قول الله سبحانه : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ [النساء: ١٠٠] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل فى قوله :﴿ **ومن عاقب بمثل ما عوقب به** ﴾ قال : إن النبىّ ﷺ بعث سرية فى ليلتين بقيتا من المحرم فلقوا المشركين ، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يحرمون القتال فى الشهر الحرام، وإن أصحاب محمد ناشدوهم وذكروهم بالله أن يعرضوا لقتالهم ؛ فإنهم لا يستحلون القتال فى الشهر الحرام إلا من بادأهم ، وإن المشركين بدؤوا فقاتلوهم ، فاستحلّ الصحابة قتالهم عند ذلك فقاتلوهم ونصرهم الله عليهم . وهو مرسل . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله :﴿ **ومن عاقب**﴾ الآية. قال: تعاون المشركون على النبى ﷺ وأصحابه فأخرجوه، فوعده الله أن ينصره، وهو فى القصاص أيضًا . وأخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد ﴿ **وإن ما تدعون من دونه هو الباطل** ﴾ قال : الشيطان . وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن فى قوله . ﴿ **إن الإنسان لكفور** ﴾ قال : يعدّ المصيبات وينسى النعم .

﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٧١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢) ﴾ .

عاد سبحانه إلى بيان أمر التكاليف مع الزجر لمعاصرى رسول الله ﷺ من أهل الأديان عن منازعته فقال: ﴿ **لكل أمة جعلنا منسكا** ﴾ أى لكلّ قرن من القرون الماضية وضعنا شريعة خاصة، بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى ، وجملة : ﴿ **هم ناسكوه** ﴾ صفة لـ ﴿ **منسكا** ﴾ والضمير لكل أمة ، أى تلك الأمة هى العاملة به لا غيرها ، فكانت التوراة منسك الأمة التى كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى ، والإنجيل منسك الأمة التى من مبعث عيسى إلى مبعث محمد ﷺ . والقرآن منسك المسلمين ، والمنسك : مصدر ، لا اسم مكان كما يدلّ عليه : ﴿ **هم ناسكوه** ﴾ ولم يقل: ناسكون فيه . وقيل : المنسك : موضع أداء الطاعة. وقيل: هو : الذبائح ، ولا وجه للتخصيص ، ولا اعتبار بخصوص السبب، والفاء فى قوله : ﴿ **فلا ينازعنك فى الأمر** ﴾ لترتيب النهى على ما قبله ، والضمير راجع إلى الأمم الباقية آثارهم ، أى قد عينا لكل أمة شريعة ، ومن جملة الأمم هذه الأمة المحمدية ، وذلك موجب لعدم منازعة من بقى منهم لرسول الله ﷺ ومستلزم لطاعتهم إياه فى أمر الدين والنهى إما على حقيقته ، أو كناية عن نهيه ﷺ عن الالتفات إلى نزاعهم له. قال الزجاج : إنه نهى له ﷺ عن منازعتهم ، أى لا تنازعهم أنت ؛ كما تقول لا يخاصمك فلان ، أى لا تخاصمه ، وكما تقول: لا يضاربنك فلان ، أى لا تضاربه ، وذلك أن المفاعلة تقتضى العكس ضمنًا، ولا يجوز: لا يضربنك فلان وأنت تريد: لا تضربه. وحكى عن الزجاج أنه قال فى معنى الآية: فلا ينازعنك، أى فلا يجادلنك. قال · ودلّ على هذا ﴿ **وإن جادلوك** ﴾ وقرأ أبو مجلز · «فلا ينزعنك فى الأمر» أى لايستخفنك ولا يغلبنك على دينك . وقرأ الباقون : ﴿ **ينازعنك** ﴾ من المنازعة ﴿ **وادع إلى ربك** ﴾ أى وادع هؤلاء المنازعين ، أو ادع الناس على العموم إلى دين الله وتوحيده والإيمان به ﴿ **إنك لعلى هدى مستقيم** ﴾ أى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه .

﴿ **وإن جادلوك** ﴾ أى وإن أبوا إلا الجدال بعد البيان لهم وظهور الحجة عليهم ﴿ **فقل الله أعلم بما تعملون** ﴾ أى : فكل أمرهم إلى الله وقل لهم هذا القول المشتمل على الوعيد ﴿ **الله يحكم بينكم** ﴾ أى بين المسلمين والكافرين ﴿ **يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون** ﴾ من أمر الدين فيتبين حينئذ الحق من الباطل . وفى هذه الآية تعليم لهذه الأمة بما ينبغى لهم أن يجيبوا به من أراد الجدال بالباطل . وقيل : إنها منسوخة بآية السيف .

وجملة : ﴿ **ألم تعلم** ﴾ مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها . والاستفهام للتقرير ، أى قد علمت يامحمد وتيقنت ﴿ **أن الله يعلم ما فى السموات والأرض** ﴾ ومن جملة ذلك ما أنتم فيه مختلفون ﴿ **إن ذلك** ﴾ الذى فى السماء والأرض من معلوماته ﴿ **فى كتاب** ﴾ أى مكتوب عنده فى أمّ الكتاب ﴿ **إن ذلك على الله يسير** ﴾ أى إن الحكم منه سبحانه بين عباده فيما يختلفون فيه يسير عليه غير عسير ، أو إن إحاطة علمه بما فى السماء والأرض يسير عليه.

﴿ **ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا** ﴾ هذا حكاية لبعض فضائحهم ، أى إنهم يعبدون أصنامًا لم يتمسكوا فى عبادتها بحجة نيرة من الله سبحانه ﴿ **وما ليس لهم به علم** ﴾ من دليل عقل يدّل على جواز ذلك بوجه من الوجوه ﴿ **وما للظالمين من نصير** ﴾ ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله ، وقد تقدّم الكلام على هذه الآية فى آل عمران، وجملة : ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**﴾ معطوفة على يعبدون، وانتصاب ﴿**بينات**﴾ على الحال،أى حال كونها واضحات ظاهرات الدلالة ﴿**تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر**﴾ أى الأمر الذى ينكر، وهو غضبهم وعبوسهم عند سماعها، أو المراد بالمنكر: الإنكار، أى تعرف فى وجوههم إنكارها. وقيل: هو التجبر والترفع، وجملة : ﴿ **يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر ، كأنه قيل: ما ذلك المنكر الذى يعرف فى وجوههم ؟ فقيل: يكادون يسطون ، أى يبطشون، والسطوة: شدة البطش، يقال: سطا به يسطو إذا بطش به بضرب، أو شتم،أو أخذ باليد،وأصل السطو: القهر.

وهكذا ترى أهل البدع المضلة إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز ، أو من السنة الصحيحة مخالفًا لما اعتقده من الباطل والضلالة رأيت فى وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين ، وقد رأينا وسمعنا من أهل البدع مالا يحيط به الوصف، والله ناصر الحق ومظهر الدين وداحض الباطل ودامغ البدع وحافظ المتكلمين بما أخذه عليهم ، المبينين للناس ما نزل إليهم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم أمر رسوله أن يردّ عليهم . فقال : ﴿ **قل أفأنبئكم** ﴾ أى أخبركم ﴿ **بشر من ذلكم** ﴾ الذى فيكم من الغيظ على من يتلو عليكم آيات الله ومقاربتكم للوثوب عليهم ، وهو النار التى أعدّها الله لكم ، فالنار مرتفعة على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة جواب سؤال مقدّر كأنه قيل : ما هذا الأمر الذى هو شرّ مما نكابده ونناهده عند سماعنا ما تتلوه علينا ؟ فقال : هو : ﴿**النار وعدها الله الذين كفروا** ﴾ وقيل : إن ﴿ **النار** ﴾ مبتدأ وخبره جملة: ﴿ **وعدها الله الذين كفروا** ﴾ وقيل : المعنى : أفأخبركم بشرّ مما يلحق تالى القرآن منكم من الأذى والتوعد لهم والتوثب عليهم ؟ وقرئ « النار » بالنصب على تقدير : أعنى . وقرئ بالجرّ بدلا من شر ﴿**وبئس المصير** ﴾ أى الموضع الذى تصيرون إليه ، وهو النار .

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **هم ناسكوه** ﴾ قال : يعنى : هم ذابحوه ﴿ **فلا ينازعنك فى الأمر** ﴾ يعنى : فى أمر الذبح . وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة

نحوه . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد نحوه أيضًا. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال : ﴿ **فلا ينازعنك فى الأمر** ﴾ قول أهل الشرك : أما ما ذبح الله بيمينه فلا تأكلوه ، وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال؟! .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : خلق الله اللوح المحفوظ لمسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش : اكتب ، قال: ما أكتب ؟ قال : علمى فى خلقى إلى يوم تقوم الساعة ، فجرى القلم بما هو كائن فى علم الله إلى يوم القيامة ، فذلك قوله للنبى ﷺ :﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض** ﴾ يعنى : ما فى السموات السبع والأرضين السبع . ﴿ **إن ذلك** ﴾ العلم ﴿ **فى كتاب** ﴾ يعنى : فى اللوح المحفوظ مكتوب قبل أن يخلق السموات والأرضين ﴿ **إن ذلك على الله يسير** ﴾ يعنى : هين . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس: ﴿ **يكادون يسطون** ﴾: يبطشون .

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)** ﴾.

قوله : ﴿ **يأيها الناس ضرب مثل** ﴾ هذا متصل بقوله :﴿ ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا ﴾ [الحج : ٧١] قال الأخفش : ليس ثم مثل ، وإنما المعنى : ضربوا لى مثلاً ﴿**فاستمعوا** ﴾ قولهم ، يعنى : أن الكفار جعلوا لله مثلاً بعبادتهم غيره ، فكأنه قال : جعلوا لى شبهًا فى عبادتى فاستمعوا خبر هذا الشبه وقال القتيبى : إن المعنى : يأيها الناس، مثل من عبد آلهة لم تستطع أن تخلق ذبابًا، وإن سلبها شيئًا لم تستطع أن تستنقذه منه . قال النحاس: المعنى. ضرب الله عزّ وجلّ لما يعبدونه من دونه مثلاً . قال : وهذا من أحسن ما قيل فيه، أى بين الله لكم شبهًا ولمعبودكم . وأصل المثل : جملة من الكلام متلقاة بالرضا والقبول ، مسيرة فى الناس مستغربة عندهم ، وجعلوا مضربها مثلا لموردها ، ثم قد يستعيرونها للقصة أو الحالة أو الصفة المستغربة لكونها مماثلة لها فى الغرابة كهذه القصة المذكورة فى هذه الآية . والمراد بما يدعونه من دون الله : الأصنام التى كانت حول الكعبة وغيرها . وقيل : المراد بهم : السادة الذين صرفوهم

عن طاعة الله لكونهم أهل الحلّ والعقد فيهم . وقيل : الشياطين الذين حملوهم على معصية الله، والأوّل أوفق بالمقام وأظهر فى التمثيل ، والذباب : اسم للواحد يطلق على الذكر والأنثى، وجمع القلة أذبة ، والكثرة ذبان مثل غراب وأغربة وغربان . وقال الجوهرى : الذباب معروف ، الواحد ذبابة . والمعنى : لن يقدروا على خلقه مع كونه صغير الجسم حقير الذات ، وجملة : ﴿**ولو اجتمعوا له** ﴾ معطوفة على جملة أخرى شرطية محذوفة ، أى لو لم يجتمعوا له لن يخلقوه ولو اجتمعوا له ، والجواب محذوف والتقدير: لن يخلقوه ، وهما فى محل نصب على الحال ، أى لن يخلقوه على كلّ حال .

ثم بين سبحانه كمال عجزهم وضعف قدرتهم فقال : ﴿ **وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه** ﴾ أى إذا أخذ منهم الذباب شيئًا من الأشياء لا يقدرون على تخليصه منه لكمال عجزهم وفرط ضعفهم ، والاستنقاذ والإنقاذ : التخلص ، وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف ، وعن استنقاذ ما أخذه عليهم ؛ فهم عن غيره مما هو أكبر منه جرمًا وأشدّ منه قوّة؛ أعجز وأضعف ، ثم عجب سبحانه من ضعف الأصنام والذباب ، فقال : ﴿ **ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ فالصنم كالطالب من حيث إنه يطلب خلق الذباب أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه ، والمطلوب : الذباب . وقيل : الطالب : عابد الصنم ، والمطلوب : الصنم. وقيل : الطالب : الذباب ، والمطلوب : الآلهة .

ثم بين سبحانه أن المشركين الذين عبدوا من دون الله آلهة عاجزة إلى هذه الغاية فى العجز، ما عرفوا الله حقّ معرفته فقال: ﴿ **ما قدروا الله حق قدره** ﴾ أى ما عظموه حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته ، حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له مع كون حالها هذا الحال ، وقد تقدّم فى الأنعام ﴿ **إن الله لقوى** ﴾ على خلق كل شىء ﴿ **عزيز** ﴾ غالب لا يغلبه أحد ، بخلاف آلهة المشركين ، فإنها جماد لا تعقل ولا تنفع ولا تضرّ ولا تقدر على شىء .

ثم أراد سبحانه أن يردّ عليهم ما يعتقدونه فى النبوّات والإلهيات فقال : ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلا** ﴾ كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ، ويصطفى أيضًا رسلا ﴿ **من الناس** ﴾ وهم الأنبياء ، فيرسل الملك إلى النبى ، والنبىّ إلى الناس ، أو يرسل الملك لقبض أرواح مخلوقاته ، أو لتحصيل ما ينفعهم [1] أو لإنزال العذاب عليهم ﴿ **إن الله سميع** ﴾ لأقوال عباده ﴿ **بصير** ﴾ بمن يختاره من خلقه ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ أى ما قدّموا من الأعمال وما يتركونه من الخير والشرّ كقوله تعالى : ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ [يس : ١٢] . ﴿ **وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ لا إلى غيره.

ولما تضمن ما ذكره من أن الأمور ترجع إليه ، الزجر لعباده عن معاصيه ، والحضّ لهم على طاعاته ؛ صرح بالمقصود فقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا** ﴾ أى صلوا الصلاة

(١) فى المخطوطة : « ينفعكم » ، والصحيح ما أثبتناه بضمير الغائب ليستقيم المعنى .

التى شرعها الله لكم ، وخص الصلاة لكونها أشرف العبادات ، ثم عمم فقال : ﴿ **واعبدوا ربكم** ﴾ أى افعلوا جميع أنواع العبادة التى أمركم الله بها ﴿ **وافعلوا الخير** ﴾ أى ما هو خير ، وهو أعم من الطاعة الواجبة والمندوبة . وقيل : المراد بالخير هنا : المندوبات . ثم علل ذلك بقوله : ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ أى إذا فعلتم هذه كلها رجوتم الفلاح . وهذه الآية من مواطن سجود التلاوة عند الشافعى ومن وافقه ، لا عند أبى حنيفة ومن قال بقوله ، وقد تقدّم أن هذه السورة فضلت بسجدتين ، وهذا دليل على ثبوت السجود عند تلاوة هذه الآية .

ثم أمرهم بما هو سنام الدين وأعظم أعماله ، فقال : ﴿ **وجاهدوا فى الله** ﴾ أى فى ذاته ومن أجله ، والمراد به الجهاد الأكبر ، وهو الغزو للكفار ومدافعتهم إذا غزوا بلاد المسلمين . وقيل : المراد بالجهاد هنا : امتثال ما أمرهم الله به فى الآية المتقدّمة ، أو امتثال جميع ما أمر به ونهى عنه على العموم ، ومعنى ﴿ **حق جهاده** ﴾ : المبالغة فى الأمر بهذا الجهاد ؛ لأنه أضاف الحق إلى الجهاد ، والأصل إضافة الجهاد إلى الحق ، أى جهادًا خالصًا للّه ، فعكس ذلك لقصد المبالغة ، وأضاف الجهاد إلى الضمير اتساعًا ، أو لاختصاصه به سبحانه من حيث كونه مفعولاً له ومن أجله . وقيل : المراد ﴿ **بحق جهاده** ﴾ : هو أن لا تخافوا فى الله لومة لائم . وقيل : المراد به استفراغ ما فى وسعهم فى إحياء دين الله . وقال مقاتل والكلبى : إن الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] كما أن قوله : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ [آل عمران : ١٠٢] منسوخ بذلك ، ورد ذلك بأن التكليف مشروط بالقدرة، فلا حاجة إلى المصير إلى النسخ . ثم عظم سبحانه شأن المكلفين بقوله : ﴿ **هو اجتباكم** ﴾ أى اختاركم لدينه ، وفيه تشريف لهم عظيم . ثم لما كان فى التكليف مشقة على النفس فى بعض الحالات قال : ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ أى من ضيق وشدّة .

وقد اختلف العلماء فى هذا الحرج الذى رفعه الله ، فقيل : هو ما أحله الله من النساء مثنى وثلاث ورباع وملك اليمين. وقيل : المراد : قصر الصلاة ، والإفطار للمسافر ، والصلاة بالإيماء على من لا يقدر على غيره ، وإسقاط الجهاد عن الأعرج والأعمى والمريض ، واغتفار الخطأ فى تقديم الصيام وتأخيره لاختلاف الأهلة ، وكذا فى الفطر والأضحى. وقيل: المعنى: أنه سبحانه ما جعل عليهم حرجًا بتكليف ما يشق عليهم، ولكن كلفهم بما يقدرون عليه،ورفع عنهم التكاليف التى فيها حرج ، فلم يتعبدهم بها كما تعبد بها بنى إسرائيل . وقيل : المراد بذلك: أنه جعل لهم من الذنب مخرجًا بفتح باب التوبة وقبول الاستغفار والتكفير فيما شرع فيه الكفارة والأرش ، أوالقصاص فى الجنايات ، وردّ المال أو مثله أو قيمته فى الغصب ونحوه . والظاهر أن الآية أعمّ من هذا كله فقد حطّ سبحانه ما فيه مشقة من التكاليف على عباده : إما بإسقاطها من الأصل وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم ، أو بالتخفيف وتجويز العدول إلى بدل لا مشقة فيه، أو بمشروعية التخلص عن الذنب بالوجه الذى شرعه الله، وما أنفع هذه الآية وأجلّ موقعها وأعظم فائدتها ، ومثلها قوله سبحانه : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] ، وقوله:

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وقوله : ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وفى الحديث الصحيح أنه سبحانه قال : « قد فعلت » كما سبق بيانه فى تفسير هذه الآية، والأحاديث فى هذا كثيرة .

وانتصاب ملة فى ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ على المصدرية بفعل دلّ عليه ما قبله أى وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم . وقال الزجاج : المعنى اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم . وقال الفراء : انتصب على تقدير حذف الكاف ، أى كملة. وقيل : التقدير : وافعلوا الخير كفعل أبيكم إبراهيم ، فأقام الملة مقام الفعل. وقيل: على الإغراء . وقيل : على الاختصاص ، وإنما جعله سبحانه أباهم لأنه أبو العرب قاطبة ، ولأن له عند غير العرب الذين لم يكونوا من ذريته حرمة عظيمة كحرمة الأب على الابن لكونه أبا لنبيهم ﷺ : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ أى فى الكتب المتقدّمة ﴿ **وفى هذا** ﴾ أى القرآن ، والضمير لله سبحانه . وقيل : راجع إلى إبراهيم . والمعنى : هو ، أى إبراهيم، سماكم المسلمين من قبل النبى ﷺ ، وفى هذا ، أى فى حكمه ، أن من اتبع محمدًا فهو مسلم . قال النحاس : وهذا القول مخالف لقول علماء الأمة. ثم علل سبحانه ذلك بقوله: ﴿**ليكون الرسول شهيدا عليكم**﴾ أى بتبليغه إليكم ﴿**وتكونوا شهداء على الناس** ﴾ أن رسلهم قد بلغتهم ، وقد تقدّم بيان معنى هذه الآية فى البقرة. ثم أمرهم بما هو أعظم الأركان الإسلامية فقال : ﴿ **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ وتخصيص الخصلتين بالذكر لمزيد شرفهما ﴿ **واعتصموا بالله** ﴾ أى اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون ، والتجئوا إليه فى جميع أموركم ، ولا تطلبوا ذلك إلا منه ﴿ **هو مولاكم** ﴾ أى ناصركم ومتولى أموركم دقيقها وجليلها ﴿**فنعم المولى ونعم النصير**﴾ أى لا مماثل له فى الولاية لأموركم والنصرة على أعدائكم. وقيل: المراد بقوله : ﴿ **اعتصموا بالله** ﴾: تمسكوا بدين الله. وقيل: ثقوا به تعالى.

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **يأيها الناس ضرب مثل** ﴾ قال : نزلت فى صنم . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه : ﴿ **ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ قال : الطالب آلهتهم ، والمطلوب الذباب . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة فى قوله : ﴿ **لا يستنقذوه منه** ﴾ قال : لا تستنقذ الأصنام ذلك الشىء من الذباب. وأخرج الحاكم وصححه عنه أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلة » (١). وأخرج أيضًا عن أنس وصححه أن النبىّ ﷺ قال : « موسى بن عمران صفى الله » (٢) .

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال لى عمر : ألسنا كنا نقرأ فيما نقرأ: وجاهدوا فى الله حق جهاده فى آخر الزمان كما جاهدتم فى أوّله ؟ قلت بلى : فمتى هذا

(١) صححه الحاكم ٢/ ٥٧٥ على شرط البخارى ووافقه الذهبى .

(٢) صححه الحاكم ٢/ ٥٧٦ على شرط مسلم ولم يذكره الذهبى .

أمير المؤمنين ؟ قال : إذا كانت بنو أمية الأمراء ، وبنو المغيرة الوزراء . أخرجه البيهقي في الدلائل عن المسور بن مخرمة قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف فذكره . وأخرج الترمذى وصححه وابن حبان وابن مردويه والعسكرى فى الأمثال عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ : « المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله »[1] . وأخرج ابن جرير ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن عائشة ؛ أنها سألت النبى ﷺ عن هذه الآية : ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ قال: الضيق[2] . وأخرج ابن أبى حاتم عن محمد قال : قال أبو هريرة لابن عباس: أما علينا فى الدين من حرج فى أن نسرق أو نزنى ؟ قال : بلى ، قال : فما جعل عليكم فى الدين من حرج ، قال : الإصر الذى كان على بنى إسرائيل وضع عنكم . وأخرج ابن أبى حاتم من طريق ابن شهاب أن ابن عباس كان يقول : وما جعل عليكم فى الدين من حرج توسعة الإسلام ، ما جعل الله من التوبة والكفارات . وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق عثمان بن يسار عن ابن عباس : ﴿ **ما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ قال : هذا فى هلال رمضان إذا شكّ فيه الناس ، وفى الحج إذا شكوا فى الأضحى ، وفى الفطر وأشباهه . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير ، أن ابن عباس سئل عن الحرج فقال: ادع لى رجلاً من هذيل ، فجاءه فقال : ما الحرج فيكم ؟ قال: الحرجة من الشجر التى ليس فيها مخرج ، فقال ابن عباس : الذى ليس له مخرج . وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر ، والبيهقى فى سننه من طريق عبيد الله بن أبى يزيد ، أن ابن عباس سئل عن الحرج فقال: ها هنا أحد من هذيل ؟ قال رجل: أنا، فقال: ما تعدّون الحرجة فيكم ؟ قال : الشيء الضيق ، قال : هو ذاك . وأخرج البيهقى فى سننه عن محمد بن زيد بن عبد الله ابن عمر قال : قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ ثم قال لى : ادع لى رجلا من بنى مدلج ، قال عمر : ما الحرج فيكم ؟ قال: الضيق .

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدّى فى قوله :﴿ **ملة أبيكم** ﴾ قال : دين أبيكم . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **سماكم المسلمين من قبل** ﴾ قال الله عزّ وجلّ : سماكم . وروى نحوه عن جماعة من التابعين . وأخرج الطيالسى وأحمد ، والبخارى فى تاريخه ، والترمذى وصححه ، والنسائى وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان والبغوى والباوردى وابن قانع والطبرانى والحاكم وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن الحارث

---

(١) الترمذى فى فضائل الجهاد (١٦٢١) وقال : « وحديث فضالة حديث حسن صحيح » وابن حبان فى الجهاد (٤٦٨٦) .

(٢) ابن جرير ١٧/ ١٤٣ والحاكم ٢/ ٣٩١ وقال : « صحيح الإسناد » ، وقال الذهبى : « بل الحكم تركوه ، من أهل أيلة » .

الأشعرى عن رسول الله ﷺ قال : « من دعا بدعوة الجاهلية فإنه من جثى جهنم » ، قال رجل : يارسول الله ، وإن صام وصلى : قال : « نعم ، فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين والمؤمنين عباد الله » (١).

(١) الطيالسى (١١٦٢) وأحمد ٤/ ١٣٠ والترمذى فى الأمثال (٢٨٦٣) وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب » والنسائى فى التفسير (٣٦٩) وأبو يعلى (١٥٧١) وابن خزيمة (١٨٩٥) والطبرانى (٣٤٣٠ ، ٣٤٣١) وصححه الحاكم ١/ ٤٢١ ، ٤٢٢ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٧٤٩٤) ط . الكتب العلمية .